
الهيئة
العامة
لقصور
الثقافة

جمهوريـة الوعـــى

مختارات شعرية

ترجمة:
محمد عيد إبراهيم





الهيئة العامة لقصور الثقافة

• جمهورية الوعى

• ترجمة: محمد عيد إبراهيم

• تصميم الغلاف:

د. خالد سرور

الطبعة الأولى 2014م

الهيئة العامة لقصور الثقافة

• رقم الإيداع: ٢٦٢٣٢/ ٢٠١٤

• الترقيم الدولى: 978-977-718821-6-0

• الطباعة والتنفيذ:

شركة الأمل للطباعة والنشر

ت: 23904096

المتابعة والتنفيذ

لطفى السيد

جمهورية الوعي

تحولات جمهورية الوعي

في ظلّ هذه التحولات الثورية التي تغمر بلادنا ومنطقتنا العربية، حيث تبث الثورة لهيبها في النفوس، ووميضها في العقول، وتتقمّص قميصها في الروح؛ ولأن منطق الحكمة قد تناهى إلى منطق الجنون أحياناً، وضرَبَ العبث بمذراته في كلّ شيء حتى اختلط الحابل بالنابل، والثوريّ بمناهض الثوريّ، والجادّ الصارم بالحادّ الأهوج، لربما ينبغي أن يكون الآن للشعر كلمة.

ومن جهتي، حاولت أن تتعدّد نصال هذه الكلمة لتحضن عدداً كبيراً من الشمائل، سواءً من جهة الشعراء في قارات الأرض كلها تقريباً، أو باستعراض نماذج مختلفة مستنيرة من الشعر العالمي، خدمةً لإسار الجمال ودعماً للمقاومة وزلفى للتائقين إلى السُلوان.

حاولتُ في تقسيمي الثلاثيّ طرح نماذجَ مشهورة وأخرى غُفلٍ لم يقدّمها أحدٌ للقارئ العربيّ من قبل. فاخترتُ بالقسم

الأول (من أوربا)، بعض حاملي جائزة نوبل في الآداب (جنتر جراس، شيموس هيني، فسلافا شيمبورسكا) استعراضاً لبعض منجزهم الشعريّ الباهر، مع (د.ج. إنرايت) وهو أحد حاملي الشعلة بعد ت. س. إليوت في بريطانيا، و(جونار أكليوف) الصوفي السويدي الذي تعاطى مع الثقافة العربية والفارسية بحسٍ حداثيّ، وأضفتُ إليهم نموذجين (من الصرب والبوسنة) تدليلاً على نبوءة الشعر حول ما دار بينهما من صراع دامٍ فيما بعد. ولم يفتني تقديم نموذج فذّ غرائبيّ هو (البرتغالي فرناندو بيسوا) الذي كتب بأربعة أسماء مختلفة التوجهات الشعرية.

كما اخترتُ بالقسم الثاني (من أمريكا)، شاعرة صوفية (إميلي ديكنسون) التي توفيت وهي لا تعلم أنها شاعرة بل شاعرة كبيرة، وشاعرة الاعتراف باللغة الحسيّة (آن سكستون) التي طرحت نموذجاً للتعبير الشعريّ المستجدّ في التعامل مع الأساطير بلمسة شخصية، وأبرز شاعرات أمريكا التي توفيت مؤخّراً (أدريان ريتش) التي ترتكب تقنيات عالية في المجاز الشعريّ، ثم قدمتُ أربعة من مناهضي الثقافة الأمريكية (رغم كونهم أمريكيين)، سواء (شارلز بوكوفسكي) الذي يندّد

بالأطر الشكلية ويصدم بإفراطه المجازيّ الحالة الأمريكية، أو أشعار (الهنود الحمر) التي تطرح الماضي التليد بأيامهم مقابل الحاضر الأثيم بآلامهم، أو (أميري بركة) الذي ينافحُ عن قيم الزنوج بصورة عدوانية حتى ليدعو لقتل البيض الأمريكيين الذين انتهكوا أرواحهم بصورة مُستذلّة. وهو المسلم الذي يهاجم إسرائيل أحياناً، أو (ألن جنسبرج) الذي يقدّم نشيداً طليعياً ضد أمريكا موازياً لما فعله والت ويتمان في أواخر القرن قبل الماضي وأول القرن الماضي، يصرخ جنسبرج:

"أمريكا،

لا أتحمّل عقلي،

فمتى تنتهين من حروب البشر؟"

أما القسم الأخير (قارات أخرى)، فاخترتُ فيه مزيجاً من شعراء الصوفية والمقاومة، فقدمتُ (سولجنيتسن) المعارض لديكتاتورية النظام البائد في روسيا ضد قهر روح الإنسان، واقتطفتُ ديواناً شعبياً شهيراً لشاعر "داغستان بلدي" من جورجيا (رسول حمزاتوف) يسطّر فيه توقيعات عن أصول البادية وشروط الإنسانية في عمومها الأزليّ، ولا يسعني أن أتأبى على استضافة (مولانا جلال الدين الرومي) في

نشيدٍ إشراقيّ راقٍ وهو الذي ترجمتُ من قبل بعضاً من رباعياته التي أهداها لروح القطب شمس الدين التبريزيّ، كذلك عطفتُ إلى الشرق، فترجمتُ نماذج باهرة من (الشعر الأفغانيّ المعاصر) تعبّر عن تلك الروح المستضعفة أمام غولٍ شرسٍ يسعى لتدمير كلّ شيء دون حساب. وتوالت بعدئذ نماذج متألقة من أشعار (من جنوب إفريقيا) وأشعار (من الهند) وأشعار (من جزر الكاريبي)، في سعي من جهتي لتقديم نماذج من الثقافات المقهورة التي أطاح بأطرها الثقافية فظاعات الكولونيالية التي "تخبز لنا المرارة" دائماً.

وهكذا تراني قد اخترتُ تقريباً بين ثلاثة مناحٍ فنية: شعراء مقاومة إنسانية، شعراء مقاومة صوفية، وشعراء مقاومة جمالية. وبين هذا الثلاثيّ تدور القصائد جميعها، بدرجةٍ أو أخرى. عساي أكون قد قدّمتُ بها إليكَ، أيها القارئ الكريم، قوسَ قزحٍ شعريّاً بتحولات متباينة هنا وهناك، كأني بعباءة درويشٍ أدقّ نواقيسَ الزمنِ بين ذئابِ الوَحشة، كي لا تتأسّى على نفسكَ فلا نريدُ سوى الشمس.

محمد عيد إبراهيم

شعراء من أوربا

د. ج. إنرايت

القِرَدَة كالشعراء!

ولد دينيس جوزيف إنرايت 1920 في ليمنجتون، إنجلترا. درّس الأدب الإنجليزي خمسة وعشرين عاماً بدول شرقية. عمل محرراً شعرياً لبعض دور النشر. كان مدير معهد شاتو وندس (1974 ـ 1982). يكتب شعراً وقصائد نثر وروايات أطفال وذكريات ونقداً أدبياً. أصدر مختارات شعرية لآخرين. يعتبر إنرايت أحد ثلاثة يمثلون حداثة الجيل الشعري الإنجليزي ما بعد إليوت (تيد هيوز، أودن، إنرايت). يعيش في لندن.

حرية ثقافة

لو تتحرر من اللجان،
فماذا ستكتب؟
يكتب المرء رغم،
على الرغم من فشل،
عن نور فاشل.

يعمل المرء وفقاً
لانتقاص "المتعة"، خشية فقدان
الحرية، يملأ العجز بالوجود.

تحتاج نَتَنَ الهزيمة
وقوداً للشعر.
فقُوّته الباعثة هي العجز.

القرد

من جديد، هَلّ عام القرد.

ولدتُ بعام القرد.

وقد يصرّح زميل عن نفسه: أيّ عامٍ هو؟

القردة كالشعراء. أكثر من بشر.

فلا تأخذنا مأخذَ الجدّ.

وهذا مؤلم للغاية.

إلى ركن من قفصي تقاعدتُ، غامضاً،

بأفكارٍ حزينة. (ربما عميقة)

تندى عيناي الواسعتان بدمعٍ شبه دائم، يداي نحيلتان

أمسكتا برأسي الثقيل فلم ينعس.

لكن الملل نفسَه مَلّ مني. لففتُ نفسي من عمود

إلى آخر، ودرتُ على ذيلي المتألم، بربرتُ ونخرتُ

من عدم لياقتي المُتوقَع.
لو وجب عليكَ أداءُ شيء، فأتقِنهُ. وهكذا أصطاد
البراغيث، لغيري، تائقاً.

تدريبٌ جيد دائماً. فقد "دروما" قدميه
ومن تأمّله الطويل بما آذاه:
يطلقون عليه قديساً، يستخدمونه ثَقّالةً للورق.
شكرا للربّ على القرد، "فهو يقربُ من البوابة،
يكلّم المتفرّج بلطف،
وحده القرد ينقذنا أن نصير على مأخذ الجدّ!"

فقد امرؤ ربطة عنقه، فدمدم بشيء
عن لجنةٍ هامة...
يمكنك أداء المزيد من التدريب. عدتُ لمحرابي،
وارتديت قناع تفكيري، حزيناً مفعماً باليأس.
رفضتُ "موزتي" بإباء. وعانيتُ طيلة ليليَ من عضّة الجوع.

لكن بالبلدة التالية. مَن يُخبرني؟
تود أن تعرف اسمي،
بالصينية (رغم أني لا أعرف كتابته، معرفتي كليلةٌ
كبقايا الرعايا)
يحمل معنى "قردٌ يجيءُ المدينة".

ستجد اسمي على ملصقاتنا. أسفلها هناك،
تحت آخرَ واضحٌ أنه من "بْكين".
أخبروا المدينةَ إني قادمٌ.
في العام التالي أكون الديك.

انتظار الباص

علّقت سنينها، عيناها أكثر شباباً،
ملأت الفستان الذي ملأ المحلّ،
لانّ جسمها صيفاً، رغم لسعة الريح
فلم يكفّ المطر.

الحلم لا يتلبّس معرفةً،
غابَ لحظةً عن الساعةِ، الطقسُ.
نحّيتُ الصحيفة، لا تحمل لي حكاية،
وزأرتُ بما لا يُحتَمَل، الصحة الدائمة
المجد والحرية.
دوّمتُ مبتعداً، كريشٍ متّسخٍ ضائع.
هل فاتنا الباص؟ أم تأكّدنا
على أيّ درب تهيمُ الريح؟

لدى موت طفل

أكبر الأحزان تُلاقي نفسها
داخل أصغر قفص.
علينا إذن أن نأمُلَ في تذليل غَضبتها،

نعيشُ مع الوحوش. فلا يُجدي
أن نهمس إلى بشريّ لمجرّد أنه ألقى
بنا بُعيد قلبه والبيت. أو رحل

في نزاع مع الحياة، فشل وليد أن يعيش.
وصغيراً كمادّته، كان حقاً
كإكليلٍ طرحناه.
تخور هنا الكلمات الكبيرة. كصناديق عملاقة
حول أجسام صغيرة. تشغَل حيّزاً متناقضاً،
الذبولُ حتميّ، والنضج أيضاً.

قطّ مصريّ

كان التغيّر قاسياً، منذ أيامه الريّانة الهادئة

خلف كرسيّ الإله "نخت".

رزيناً واعي الجلال فوق سمكةٍ مُنبَطحة،

لا عظام بظهره، لا عمودا فِقَريّاً تضرّر مجروحاً،

لا رأس موتٍ

أطلّ من قمامة مُنقَلبة، بل وحدةٌ مقدّسة من سمكٍ

ولحمٍ وروح.

ذيلُه مروحةٌ فَخمة، إشارةٌ مميزةٌ مثلكَ،

وقد وجدَ الإلهُ النمرُ عطيّة النمرِ صالحةً...

مقعدكَ الآن بين شحّاذين، الرجل وقطّه

مبتذلَين،

أنتَ بأضلاعكَ المهزولة، وهو

ممدّد وسط ما بقيَ من أوصاله.

قالوا، يحطّ أولادٌ أضلاعهم فوق خطوطِ الترام

لدخول هذه المهنة الشاقة.

لكنك، مجنوناً بين سيارات، يهزأ منكَ

نفيرُها،

ترقد أخيراً بقاع بالوعةٍ، موتكَ ناصع...

هكذا أفكّر بالأيام الخوالي. كنتَ قوياً

حقوداً قليلاً،

تميلُ كالقوسِ، كقوسِ قُزحٍ فخورٍ بألوانه،

مشدودا على زنبرك ذيلكَ المشدودِ، ببلدة "طِيبة".

حيث مات الفراعنة، ومن فنونهم الدفينة

ذاعَ نورٌ ودام جَمالٌ على الحياةِ نفسها. كنتَ،

مبسوطاً بين قائمَي مقعد، تنهشُ سمكةً عذراءَ طازَجَةً.

جنتر جراس

نار طليقة

ولد جنتر جراس 1927 في دانزج، ألمانيا. عاش حتى الحرب العالمية الثانية في باريس. وهو فنان متعدد المواهب: روائي، شاعر، فنان تشكيلي، نحات، كاتب مسرح. طبعت روايته الأشهر "طبلة الصفيح" 1959. باعت بالألمانية ربع مليون نسخة، وبالإنجليزية نصف مليون نسخة. أصدر بعدها روايات: "سنوات كلب"، "قط وفأر"، "يوميات حلزون"، "فأر"، "المتخبّط"، "حقل واسع"، "درب السرطان" ... وبعد نيله جائزة نوبل للآداب 1999، أصدر كتابه "مئويّتي" عن القرن العشرين، آلامه وحروبه ومآسيه. أصدر أربع دواوين. يعيش الآن في برلين.

يرى جراس ضرورة أن يمتزج الفن باللعب، وعلى

الفنان أن يكون لعوباً لكن في الفن فقط. وتصوّر قصائده عالم الفانتازيا والتشيؤ والفكاهة، فهي بديل الفن الوعظي، حيث لا شيء يعلو عن اللعب. وتأتي فتنة شعره من استجابته الفطرية الحساسة للعالم على علاّته، مع بثّ التوتر بمنظومة التفاصيل اليومية. يوزع جراس رؤاه الفنية بين البراءة والخبرة، الحرية والقسر، الطاقة الحيوية والقصور الذاتي. الشعر لديه هاجس جمالي محبب، وانفتاح على حدّ الخطر، ورموز تحمل الذات إلى عالم الخيال.

غرام

هكذا يكون:

جِماعٌ غير ممهور

حِرام قصير، دائماً

وقرابة محلولة.

غرامٌ أن تكدّ وراء الأفق.

تدفع الورق المترامي من حذائين

وفي بال كلٍّ أن يحكّه بقدمٍ عارية.

أن تُخلّي القلوب وأن تؤجّرها،

أو تتواجد بغرفةٍ فيها مرآةٌ ودشّ،

في عربة أجرة، مقدمها يواجه القمر،

حيث تقف البراءة

تُشعل برنامجها،

الكلمة في رَجعها الاصطناعيّ

مختلفة وجديدة كل آن.

اليوم، أمام شباك تذاكر لم ينفتح بعد،

يدٌ مع أخرى تنهمكان

عجوز بائس ومُسنَة أنيقة.

الفيلم يَعد بالغرام.

لا تدُر

لا تدخل الغابة
في الغابة غابة.
من يمش في الغابةِ، باحثاً عن شجر
فلن ينتهي بحثه في الغابة.

لا تخَف
الخوف يشمّ الخوف.
ومن يشمّ الخوف، فسيعبق برائحة
الأبطال الفائحين بالأبطال.

لا تسكَر من البحر
البحر ذائقةٌ لمزيد من البحر.
من يجرّع البحر، فسيشعر صاعداً
بالعطش فحسب إلى المحيطات.

لا تشيِّد منزلاً

وإلا ستلبثُ بالمنزل.

من يلتزم منزلاً فسيقبعُ

كآخر الطالبين ليفتح الباب.

لا تحرِّر رسالةً

يباهي الأرشيف برسائلك التي حرَّرت.

من يدبِّج رسالةً فاسمه يُضاف

إلى ورق اللعبة التالي لوفاة صاحبه.

جمال خاطئ

هادئ هذا،

وتلك إشارة الطريق مانعة، أسنانها تصطك بعضها بالآخر،

أبهجتني.

أوصال الخروف بمذاقها الطيب،

رغم دُهنيتها الباردة. الحياةُ،

أعني بين أمس وصباح الاثنين،

في مرحٍ، أيضاً:

أهشّ لطبق الجزر البريّ،

يذكّرني قُرنفله بخنازير غينيا،

فتهدّد الفرحة بغَمر مائدتي.

بينما فكرة، فكرة الأنواع،

ترتقي دون تخمّر، وأنا سعيد

أن ذلك كله خاطئ وجميل.

نار طليقة

بيتٌ ورائي خالٍ،
وجفَت الجوارب فعلاً،
عواصف الرعد المألوفة تُجهد نفسها.

أفكاري لا ترشَح
فأستعرُ بحماسةٍ غريبة،
إلى رماد أخيراً، كان جانب الدفء الصحيح.

ويسهُل أن أقتنع
بملذاتٍ وأحاديثَ بديعةٍ
في غابة خوّافةٍ مُستثارة.

كُل بهدوء، ثمَ... أغلق

رجاءً، أغلق البابَ.

داخله، كلّ شيءٍ حقيقة.

المدفئ مسكونةٌ سلفاً

وهي اليوم خاويةٌ.

غداً تركع، فالدخانُ يعلَقُ بارداً.

شؤون عائلية

بمُتحفنا . نذهب هناك الأحد .

افتتحوا قسماً جديداً .

أطفالٌ مُجهَضون ضعفاء، أجنّة خطرة،

بأنابيب زجاجٍ ملساءَ، يُقعون

قلقين على مستقبل آبائهم.

الملعب، ليلاً

بطيئاً صعدت كرة القدم إلى السماء،

ورأى أحدهم المدرّجات تحتشد،

وقف الشاعر وحده في المرمى

فصفّر الحَكَم "ضربة جزاء".

أعيقوا العنف عن الحيوان

البيانو إلى حديقة الحيوان.

أُدخل الحمار المخطّط بأحسن غرفة.

تلطّفوا معه.

فهو من "بيشتين" جاء،

علفُه اللحن المصاحب

وآذاننا الملتذّة.

غارة مُخفقة

الأربعاء،

عرفوا كلهم عدد الدرجات

ثم يرنّ الجرس،

الباب الثاني لليسار.

حطّموا صندوق النُذور.

لكن اليوم أحد، والدفع بالكنيسة.

سعادة

باصٌ خاوٍ
مندفعٌ بليلٍ تُزيّنهُ النجوم.
وقد يغنّي السائق، فيُسعده الغناء.

نورماندي

على الشطّ قلاعٌ صغيرة

صلابتها عنيدة.

يصل أحياناً جنرالٌ يُحتَضر

فيقدَحُ فتحةَ الزناد.

أو يهلّ سياحٌ لقضاء

خمس دقائق معذّبة .

رياح، رمال، ورق، بول:

فالغزو متّصلٌ.

إلى كلّ بستاني

لِمَ تُخبرني ألاّ آكل اللحم؟

وجئتني بأزهارٍ وأزهار

كأن مذاق بقايا الخريف لا يكفي.

خلّ القرنفلات بالبستان.

ماذا، اللوز لاذع، وعاءُ الغاز

سمّيته الكعكةَ. أطلب الحليب.

تقول: خضراوات.

وتبيعني الورد بالكيلو.

صحيّ، تقول، وتعني الخُزامَى.

أينبغي أن آكل السمّ

مخلوطاً ببعض الملح

في باقات صغيرة؟

أينبغي أن أموت بزنبق الوادي؟

والزنبق على قبري.

من سيحميني من النباتيين؟

دعني آكل اللحمَ.

دعني مع العظمِ.

خلّ العظمَ يفقد عفّته مُبدياً عُريه.

وعندما أنهض عن الصحن

أتجشّأ عالياً كالثور،

افتح لي بساتينك، لأبتاع أزهاراً.

أحبّ رؤيتها ذابلة.

كوكب زُحل

في البيت الكبير. فئران
تعرف مصارفَ المياه،
لكن الحمّام جاهل.
أحيا بفرضيات كثيرة.

عدت متأخراً، لأفتح البيت
بمفتاحي. وبينما أتصيّد المفتاح
لاحظتُ حاجتي لمفتاح
عند دخول البيت.

جُعتُ شديداً، فأكلتُ دجاجة
جهّزتها بيدي. وبينما آكل الدجاجة
لاحظتُ أنني أتناول دجاجة
نافقةً باردة.

انحنيت، لأخلع حذائي

وبينما أخلع حذائي، لاحظتُ

أنه ينبغي الانحناء

حين نخلع الحذاء.

نعستُ مضطجعاً، فدخّنتُ سيجارة،

وبالعتمة طبعاً

امتدت يدٌ مفتوحة

لدى نفضي رمادَ السيجارة.

يأتي زُحل ليلاً

وراحتُه إليّ. برمادي

ينظّف أسنانَه، زُحل.

فنصعدُ في براثنه.

ترنيمة

مثل معقدٍ مثل عندليب،

مثل خاوٍ مثل،

طيب القلب مثل،

مثل برهانٍ مجعّد، مثل تقليديّ،

مثل نَتَنٍ أخضر بِقَبر، مثل منحرفٍ،

مثل مُتماثل،

مثل فظّ،

مثل قريبٍ من الماء، حقيقيّ مع الريح،

مثل عاكفٍ على النار، يُقلّبها تكراراً،

مثل شيءٍ سهل بالطفولة، يطوي الصفحات قصداً،

مثل جديدٍ له صريف، مثل غالٍ،

مثل مخزنٍ عميق، مثل أليفٍ،

مثل خاسر ببساطة، يلمع بالاستخدام،

مثل لاهثٍ ضعيف، مثل باردٍ مغمور،

مثل مستقلّ، مثل راشد،

مثل جبان،

مثل مفرطٍ مثل،

مثل بسيطٍ مثل روحي.

شيموس هيني

جمهوريّة الوعي

نال شيموس هيني جائزة نوبل 1975، وهو ثالث أيرلنديّ يفوز بها، بعد ييتس وصمويل بيكيت. ويُعتبر أيضاً ثالث أفضل أدباء أيرلندا، بعد ييتس وشو وجيمس جويس. ولد 1939 شماليّ أيرلندا، ثم استوطن دبلن منذ 1976، عمل أستاذاً للبلاغة بجامعة هارفارد منذ 1984، ثم أستاذا للشعر منذ 1989. من دواوينه: "وفاة عالم طبيعة" 1966، "باب للعتمة" 1969، "شمالاً" 1975، "جزيرة الميدان" 1984، "مصباح الزعرور" 1987، "فلاحة الحقل"، "قصائد مختارة"، "أشياء مرئية"، ... مع أربعة كتب نقدية: "مشاغل"، "حكومة اللغة"، "التعالي بطروادة"، "إنصاف الشعر".

تشتمل قصائده على غنائية بديعة، وعمق جمالي يُفضي إلى أعاجيب ضمن انشغاله باليوميّ الحاضر والماضي الحيّ. وقد منحه التدريس بأمريكا منظورا جديداً، حيث يقول "حين نخرج من بلادنا موثقين بالقيود ثم نرى خفة كاليفورنيا، يبدو الأمر كنزهة فضائية". لكن بيئة هيني الشعرية ليست الفضاء بل الأرض، الأرض المضطرمة بجذوره وشعبه، فهو "يقف تحت الندى ليشمّ عفن الزهرة" كما قال. يدعو إلى الابتكار والحرية، كأيّ حفّار حقيقيّ، بعيداً عن الواقعية وصولا إلى المثالية. والأشعار من "قصائد مختارة" (بنجوين، 1990).

شربة ماء

تأتي كلّ صباحٍ لجلبِ الماء
كخفّاشٍ قديم يتهادَى إلى الحقل:
سُعال الطلمبة كالنعيق، شخللةُ الدلو
وهبوط الصوت حتى يمتلئ تدريجاً،
مؤذناً بالحركة. أذكُر
جلبابها الرماديّ، لمعةَ دلوها الملآن
بيضاء منقّطة، وضجّة صوته
المضاعَف كذراع الطلمبة.
وليلاً حين يصعد قمرٌ كاملٌ بيتها
يقعُ على شبّاكها راقداً
بالماء المرتكن إلى المائدة.
أقتحمُ لأشربَ ثانيةً، مخلصاً
للعتاب على كوبها،
تحياتي للمانح ضامر الشفة.

عروس الحنجرة

آخر الصيف، منتصف الليل
أشمّ حرّ النهار:
بنافذتي المطلّة على جراج الفندق
أشمّ أرياح ليلٍ موحلٍ بالبحيرة
وأرقبَ حشدَ شبابٍ يغادر الديسكو.

ارتفعت أصواتهم غليظةً وواثقة
كفقّاعات زيتٍ تُغذّي السمك الساري
تلك الليلة عند الفجر. السمك اللزج،
تسمّيه "السمك الدكتور"، فلُزوجتُه
قيل تُشفي بلمستها جروحَ السمك.

فتاة في فستان أبيض

تنهمك بمغازلةٍ وسط سيارات:

وحين زام صوتها بضحكاتٍ مشوّشة،

صرتُ رمحاً قديماً سِيمَ بالتقرّحات

ودّ لو عامَ متّصلاً بحياةٍ رخيّة.

فيما بعد

ستغمرُ الشعراءَ بالحلقةِ التاسعة
تهيئُهم، السنَ بالجُمجمةِ، آلةُ الكلام بالعقلِ،
تغتاب الحياة، تُحيلُ جحيمها
إلى سلسالِ ممتازين مغرورين كلبيّين

قساةٍ ارتجاليين طموحين حساسين
مغلقي أفمامِ مُصفَدين، كلٌ يواصل عذابَه
يحتالُ بموقعه، مشبوكاً وممتطىً
مثل أجولينو على روجر رئيس الأساقفة.

وحين تضع محيطَها الثلجيَ،
بمعونة وإغراء زوجة فرجيل،

أصرخ "حبيبتي، من يكلّل بالغار

أرضَنا الخضراء، لمن يعيش

المخلصين المُفتَدين؟"

فردّت "صككتُ سَمعيَ الأرملَ

عن أخبار الشعر والشعراء الجهنمية،

فلماذا لا ترتخي قبضتكَ عن سنواتنا،

وتهبط ضاحكاً من غرفتكَ

تهيم فجراً معي وأطفالي.

كأمسية القشّ والزهر

القديمة، وقت كان الورد البريّ ذابلاً؟"

وحينما صادني صانع الرمح بالرقبة

"ما كنتَ أسوأ. تُقتَ لشيء مميز،

كبراعة أخطاء على الجنبين،

خلّفتنا أولاً، ثم هذه الكتب وراءكَ".

حلم الغيرة

سائراً معكِ وامرأةٍ أخرى
بحديقةٍ مشجّرة، العشبُ هامس
يمشّط بأصابعه صمتَنا المكنون
فتنفتح الأشجار على صفاء خفيف هناك
حيث جلسنا تحت ظلّ.
أظنه إخلاص النور أفزعنا.
تكلّمنا عن الرغبة وغَيرَتي،
حوارنا ملبس واحد محلول
كمفرَش النزهة الأبيض المطروح
مثل كتابٍ عن حسن السلوك بالبريّة.
"أريني" قلتُ لرفيقتي "أكثر ما أشتهيه،
نَجمَي صدركِ البنفسجيين".
أذعنَت. آه، لا هذه الأبيات
أو حصافتي، بل الغرام يُشفي نظرتَكِ الجريحةَ.

مصباح الزعرور

يتوهَجُ الزعرورُ شتاءً بغير أوانه،
سرطان شوك، نورٌ قليل لبشرٍ قليلين،
لا يودّ إلا أن يحفظوا
ذُبالة احترام الذات أن تنقرض،
فلا يُعميهم سناؤها.

حين تتباهَى أنفاسكم بالصقيع
يأخذ شكل طواف ديوجين
بمصباحه، باحثاً عن رجل واحد،
ينتهي بتفحّص ما وراء الزعرور
بتويجات معلّقة في مستوى العين، أمام
لبّه الموصول والحجر، يرجُفُ
عضوه الدامي، لو اختبرته لرَقّ بيدكَ
تَقبُه يانعاً يفحصكَ، ثم يسعى.

فنيّة النهار

يوم مناولته السمّ
قال سقراطُ لصحبه ما كتب:
ضعوا خرافات إيسوب شعراً.

وليس هذا من عشق سقراطٍ الحكمةَ
ومناصرة حياةٍ مُمتَحنَة.
بل لعلّة حلم لديه.

قيصر الآن، أو هرقل أو قسطنطين
أو أيّ آخرين من ملوك شكسبير
ينفجرون في النهاية كالسدّ
حيث تنهمر خلفيّات مبتكَرَة
لتنهضَ ثانيةً أمام مشاهد الموت.
فثقْ بأحلامها الوثيقة.

كاد يفعلها سقراط. وقد حكى
لصحبه الحلمَ الذي ظلّ يستعيده
طيلة عمره، كدرسٍ وحيد:

"مارسوا الفن"، كان حتى اللحظة
يعني الفلسفةَ دائماً.
أسعدتُه هبةُ الطبيعةِ

فتمرّسَ منذ بدايته على الطريق القويم.
الشعر، قال، أو الصيد، لياليه دون حلم،
خلفياته المنهمرة تنهضُ من العمقِ فتمرّ

كنور النهار من عين صنّارة أو ثَقب ريشة.

جمهوريـة الوعي

(مُقطّعات)

1)

حين هبطتُ جمهوريّةَ الوعي

وسكنَت المحركات فلم تعد نأمةُ صوتٍ

سمعتُ صوتَ الكروان عالياً بالممرّ.

بقسم الهجرة، موظفٌ عجوز

أخرج حافظةَ من سترته المخيطة منزلياً

ليريني صورةَ جدّي.

طلبت موظفة الجمارك أن أفصح

عن مكنون علاجنا التقليديّ وتعاويذ

البُرء من الخَرَس وتفادي عين الحسود.

لا حمّالين. لا مترجمين. لا عربات أجرة.

حملتَ حدودَها وقريباً

نقتفي أمارات زحفكَ.

(2

الضباب فألٌ مروّع لكن البرق
يتهجّى خيراً عالمياً فيعلَق الولدانُ
صغاراً مُقمّطين بالأشجار وسط عاصفة الرعد.

الملح معدنها الثمين. وقواقع البحر
نُمسكها على الآذان وقتَ الميلاد والموت.
قاعُ الأحبارِ والأصباغِ ماءُ البحر.

رمزُها المقدّس مركبٌ مُعيّن.
الشراع أُذن، والصاري قلمٌ منحَدر،
بطن المركب بهيئة فم، والعارضةُ عين مفتوحة.

وعند تولّي زعماءِ أهليين
يُقسِمون بقانون غير مُسطّرٍ رافعين أيديهم باكين

للتكفير عن وقاحة تقلّدهم المنصب.

ولتأكيد إخلاصهم على مدى العمر
يهمي ملح الدموع مما بكت السماء
بعد حلمها بعزلة لانهائية.

(3

عدتُ من هذه المملكة الرخيصة
يداي فارغتان، بينما تصرّ موظفة الجمارك
أن تذكرتي هي نفسي.

نهض العجوز مُمعناً بوجهي
قال: هذا اعترافٌ رسميّ
أنني الآن مواطن مزدَوَج.

وشاءَ لي حين عدتُ
أن أعتبرتُ نفسي مندوباً
عنهم بلسانيَ الخاص.
سفارتُهم، بكل مكان
لكنها مستقلة
وما من سفير يرتاح.

سفينة الموت

كان سكيلد رجلاً عفياً حينما حانَ حَينُه
فمضى لملكوت ربّنا.
نفّذت عُصبتُه المحاربة ما أمر به
حين وضع قوانين للدانمركيين:
تحمّلوا عبئَه خارجاً من طوفانِ البحر،
رئيسَهم الذي وَقّروهُ إذ حكمهم طويلاً.
تمخرُ الميناءَ سفينةٌ برقبة حَلَقيّة،
يغطّيها ثلجٌ، وحبالُها مُحكَمَة.
مدّوا زعيمهم المحبوبَ بالقارب،
مهّدوا وسطَ السفينةِ بالسارية
ذات الحلقةِ الكبيرة. كنوزٌ بعيدةُ المنال
تكدّست فوقه، مع صندوقٍ ثمين.
لم أسمع قبلها عن سفينةٍ برّاقة
بعدّةِ المعركة، بأسلحة حادة

وأجولة بريد. تكوّم الكنز
فوق رأسهِ: سيسافرُ مبتعداً
في غضبة المحيط.
كدّسوا جسمه بسخاءٍ كريم
وعطايا لا تقل عن الأولى
التي طرحتهُ وهو صغيرٌ
فقذفتهُ وحيداً إلى الأمواج.
وضعوا ذهباً على رأسهِ
لينجرف مع الريحِ والمدّ، تفجّعوا عليه
كحداد الفَقد. لا أحد هناك ليُخبرَ،
لا حكيماً بالقَصرِ أو متمرّساً على النجاة
يعلم يقيناً من استردّ الحمولةَ.

شجرة التمني

فكَرتُ فيها كشجرة التمنّي التي ماتت
ورأيتها ترتفع للسماء، جَذراً وغُصناً،
بذيلها زَخّة مطر وسط ما يسوقُها

حاجةٌ بعد حاجةٍ بعد حاجةٍ بسَحبتها
خشب النسغ واللحاء: وتدٌ وإناء خشبيٌّ ومسمار
ينجرف معها كذيلٍ مُذنّب

بنعناعٍ طَازَجٍ ومُذاب. عندي صورة
لرأس غصنٍ هوائيَ يطير على غَيمٍ رطب،
لوجوه تخلّت حيث تقف الشجرة.

الجزيرة المختفية

تجرّأنا يوماً على سبك أنفسنا بالخير
بين تلالها الزُرق وشطوطها المزروعة،
قضّينا ليلتنا اليائسة في الصلاة والسهر،

جمعنا يوماً خشباً طافياً، عملنا مدفأةً
وعلّقنا مِرجلاً كقُبّةٍ زرقاء،
فانكسرت الجزيرة تحتنا كالموجة.

آزرتنا الأرضُ حازمةً
حين ضممناها بعنفٍ كامل.
لكن ما ظننتهُ حدثَ كان منظراً.

ثمرة غريبة

رأسُ الفتاةِ هنا كالقَرعِ المنقور.

وجه بيضاويّ، جِلد مثل خوخ، وأسنان كبرقوقٍ جافّ.

فَكّوا قماطَ السرخسِ المبتلّ عن شعرها

كاشفين مقصّتَه بالهواء، جمالٌ مكين،

كنز عَطِن، رأس مُشحّم؛

أنفها حطيمٌ داكنٌ كطينٍ مغشوشٍ،

ثقبا عينيها فارغان كبِركتين من حَفرٍ قديم.

واعترف ديودورس سيسليوس

أن راحته المنتظمةَ تولّدت بين:

قتلةٍ، منسيين، مجهولي نسبٍ، مرتعبين

من فتاةٍ مقطوعة العنق، فأس أحدقَ من خطرٍ

طوّب النعيمَ بالآخرة، أحدقَ من خطرٍ

ما بدأ يحسّ به كتوقير.

يوم الزفاف

خائفٌ. سكت الصوتُ نهاراً
وكرّت صورٌ
تكررت. فلماذا الدموع؟

أسىً وحشيٌّ على وجهه
خارج عربة الأجرة؟ ترقى حيويةُ الحِداد
من ضيوفنا الملوّحين.
غنّوا خلف كعكةٍ عالية
كعروسٍ فُوّتت. من يواصل مخبولاً،
فيُقيمُ المراسمَ.

حين التقيتُ الرجالَ
قلبي يخرقه سِيخ، وخرافةُ حب. دعيني
أنام على صدرك حتى المطار.

أمّ العريس

تذكُر، ظهرَه اللامعَ
بالحمّام، حذاءَه الصغير
معلّقاً بحلقةٍ عند قدميها.

كانت الأيدي بحِجرها الفارغ،
سمعت بنتاً ترحّب. كان يركل حين ترفعه
لينزلقَ على حِضنها بالصابون.

قد يُريحُ الصابون
خاتمَ الزفافِ، فيستقرّ الآن
في يدها التي تصفّق.

سفر

تُسند الثيران أرؤسَها
إلى شمسِ الظهيرة،
يستنبت التلّ بطّيخاً كأنه فوق آنية:
من يقرأ على مَبعَدَةٍ
يقرأ خلفَنا، أطفالُنا نائمون
والغبار على عُشبٍ محترق.

عشاق آران

بلدة الشاعر، جزيرة صغيرة غربي أيرلندا

أمواجٌ بلا زمن، منخولة لامعة، كزجاجٍ مُحطَم،
تُبهر البصر، حول صخرٍ،
وامضة، منخولة من الأمريكتين

لتحوزَ آران. أو يندفع آران
ملقياً أذرعه الصخريةَ حولَ مَدٍ.
استسلم للجَزرِ بشهقةٍ واهنة؟

أيُعينُ البحرُ أرضاً أم النقيضُ؟
كلٌ يجر معنىً مستجداً لتلاطُمِ الأمواج.
فقد تحطّم البحر فوق الأرض بهويّةٍ كاملة.

فسلافا شيمبورسكا

مديح التأسّي على نفسك

ولدت شيمبورسكا 1923 غربي بولندا. وتعلمت في ظلّ احتلال النازيّ بمدارس أهلية. درست الأدب البولندي وعلم الاجتماع بعد الحرب العالمية الثانية بجامعة جاجيلونيان في كراكوف. عملت محررة للشعر في دور نشر، وكاتبة عمود صحفيّ (1953/1981). من دواوينها: "أسباب التعلق بالحياة" 1952، "استجواب الذات" 1954، "صيحة دبّ الثلج" 1957، "ملح" 1962، "المتع المائة" 1967، "فرصة" 1972، "عدد كبير" 1976، "بشر على جسر" 1986، "بداية ونهاية" 1993. نالت جائزة نوبل للآداب عام 1996، عن مجمل نتاجها الشعريّ. وتوفيت 2012.

يحمل شعرها إدراكاً ساخراً لمعانى الحياة داخل سياق تاريخي بيولوجي. وتتميز قصائدها بالبساطة، رغم المجاز المحتشد برموز محلية ضمن فلسفة عميقة غنائية تقرّبها من الأذهان. تحيا بعيداً عن الأضواء، ونادراً ما تُلقي شعرها بالمحافل العامة.

أكثر من عودة

عاد. لم ينبس بحرف،

رغم حدوث ما عكّر عليه.

تمدّد بملابسهِ

مُخفياً رأسَه تحت الدثارِ،

وساحباً ركبتيه.

كان بالأربعين، لكنه لم يعد هكذا.

.كمن في بطن أمه

تحت سبع طبقات، على ظلمة واقية.

غداً سيُلقي محاضرة

عن أضلاع المجرات الدوارة،

لكنه الآن ملتفٌّ بنوم عميق.

قردان بلوحة بروغل[1]

أحلم بامتحان تخرُّجي:

بنافذة أمامي يُقعي قردان مسلسلان،

وخلف أخرى سماء طافية،

وبحر ينضح.

أؤدّي امتحاني في تاريخ البشرية:

متلعثمةً أتخبّط،

قردٌ منهما ثبّت عينيه عليّ،

مصغياً بتهكّم، بينما ينعس الآخر.

وحين يتبع الصمتُ السؤالَ، يستحثّني

بخشخشةٍ واهنةٍ من السلسلة.

1- بيتر بروغل (1525/1569): فنان تشكيلي فلمنكي، عني بتصوير الحياة ضمن ضواحي الريف. (م)

الحياة وأنت مرتقب

الحياةُ وأنتَ مرتقبٌ.

فعاليةٌ دون تكرار.

جسم غير مُحكَم.

رأس لا ينعكس.

لستُ الدورَ الذي أؤدّيه.

فدوري غير قابل للهدايةِ، يقيناً.

أخمّن ما تعنيه المسرحية

بمجرد البداية.

تأهّلتُ في بؤسٍ لنبلِ الحياة،

أجاري مُجهَدَةً خطوةَ الحدثِ المفترَض.

أرتجل، رغم أني أعافُ الارتجال.

أتعثّرُ كلَّ خطوةٍ من افتقار خبرتي.

شكلُ حياتي منطبعٌ بسمةٍ ريفية.
ومواهبي كهاوٍ عفن.
رهبةُ المسرحة، رغم الاعتذار، خزيٌ كلها.
وبعنفٍ أدرك ظروفَ الجُرم المُخفَفة.

لا أُنكرُ الكلماتِ وعكسَها،
فحسابُ النجوم غيرُ متناهٍ،
شخصيةٌ مُحكَمةٌ كالمعطف طيلة العرض
كانت نتيجةً مؤسَيةً لهذه العَجَلة.

لو تمرّستُ يوم الأربعاء من بداية الزمن،
أو تكرّر يوم الخميس!
لكني لا زلتُ أُنكر مخططات يوم الجمعة.
أسأل. أهذا عدلٌ

(مع بُحَة صوتي،
فلا يُسمح لي تنظيف حَلقي بالأجنحة).

بهجة الكتابة

بهجةُ الكتابة،

قوّة بقاء،

ثأرُ يدٍ فانية.

مديح التأسّي على نفسك

لا يرى الصقر الحائم ملامةً.
لا يعرف النمرُ معنى الشكّ.
حين يطعنُ السمك الضاري،
لا يحسّ بالعارِ.
لو كان للحيّات أيدٍ، لادّعت
أن أيديها نظيفة.
لا يعي ابنِ آوَى الندم.
القملُ والأُسود لا تضطرم
في الطراد.
ماذا يفعلون بإدراك أنّهم على صواب؟
رغم أن قلوب الحيتان فتّاكة، تزن طناً
فهي خفيفة بدروب أخرى.
بهذا الكوكب الثالث حول الشمس
بين سمات الوحشة،
صفاءُ الضمير هو المُقدّم.

بشرٌ على جسر

كوكبٌ غريبٌ بناسٍ غرباء،

يستسلمون للزمن دون أن يفهموه.

بطرائق تعبيرٍ عن احتجاجهم،

يجمّلون تصوّراتٍ، مثلاً:

في البداية لمحة، دون خصوصية.

ترى مياهاً. ترى شاطئاً.

ترى قارباً يُبحر عكس التيار مكدوداً.

ترى جسراً على ماء، وبشراً على جسر.

يغذّ البشر سيرهم واضحين،

منهمرٌ مطرٌ غزير

مندفعٌ من سحابةٍ سوداء.

لا شيء يحدث بعد. معضلةٌ.

لا تغيّر السحابةُ لونَها أو شكلَها.

لا يقوَى المطر أو يكفّ.

ويبحر القاربُ ساكناً.

بشرٌ على جسرٍ

يجرون حيث كانوا من دقيقة.

ويصعُب أن نتفادَى ملاحظةً كهذه:

هذه كلها صورةٌ غير بريئة.

فالزمن يسكُن هنا. يتجاهلون قوانينه.

ضاعَ تأثيرهُ بمجرَى الأحداث.

أُهين وازدُرد.

بفضل عصيان هيروشيج أوتاجاوا

(كائنٌ راحلٌ من زمان)

زلّ الزمان فسقط.

ربما من نزوة مشابهة،

هوىً منسحبٌ على مجرّتين.

ومن الضروري أن نضيف:

يليقُ هنا، أن ننظرَ للصورةِ من علوٍّ،

فنُستثارُ من عصرٍ إلى عصر.

ليس هذا كافياً.

فهم ينصتون لصوت المطر،

يستشعرون نقاطه الرطبة فوق رقابهم وأكتافهم،

ينظرون إلى بشرٍ وجسر

كمن ينظرون لأنفسهم، بمسعاها اللانهائيّ

عبر طريق خالد لا ينتهي بالسفر.

يوقنون بصفاقةٍ

أن الأشياء هكذا دائماً.

تقرير حزين

كم عرفتُ، لو حقاً عرفتُ،
رجالاً ونساءً، تقسيمٌ بالقوّة،
عبروا العتبة، نحو الجسر، مهرولين
لو كان هذا جسرا.

كم سيقلّون بعد حياةٍ تطولُ أو تقصُر،
علامةٌ لا تزال بأيديهم،
البداية حسنة، والنهاية غير حسنة،
لو لم يتمنّوا عكسَ ذلك،
وجدوا أنفسهم بشاطئٍ آخر،
لو وجدوا أنفسهم
ولو هناك شاطئٌ آخر.
لو خوّلوا لي النظر بمصيرهم الأبعد،
لو حقاً هناك مصير، أو يزال المصير.

كلّ شيء، كلمة غير محدودة،
خلفهم، إن لم يكونوا أمامهم.
كم عدد القافزين من زمنٍ متسارع
مختفين بكآبةٍ عالية
لو صدّقنا ما نراه.
كم عدداً، لو هممتُ بالسؤال،
لوصل المرء إلى رقمٍ نهائيّ
قبل أن يحسب الحاسبُ نفسَه،
فيروح في نومٍ عميق،
إن لم يكن أعمق.

وداعاً، أراك غداً.
وحتى المرّة القادمة، لا يرغبون
تكرار هذا. محكومين بمُطلقٍ،
لو لم يكن غيره، الصمت.
مستغرقين فيه، لو كان
حيث يُجبرهم غيابٌ.

محطة السكة الحديد

لم أصل محطة ميم
بموعدي المضبوط.

أحذّركم
بخطابي الذي لم أرسله.

نجحتَ ألا تقابلني
في الساعة الموعودة.

وقف القطارُ بالرصيف 3.
خرجَت حشودٌ من البشر.

انضمّ للجمعِ غيابي
عند باب الخروج.

اندفعت للقائيَ امرأتان

أو ثلاث، في هرولة.

ركضَ امرؤٌ لا أعرفه

للّحاق بواحدة، فعرفتُه فوراً.

تبادل اثناهما قبلةً ليست لنا،

وفقدت حقيبةً ليست لي.

محطة السكة الحديد في ميم

حقّقت امتيازاً بوجودها الفعليّ.

كلّ شيءٍ بمكانه. الجزيئاتُ

على قضبانها انطلقت.

حتى اللقاء المُرتَقَب

تمّ.

أبعدَ من

حضورنا.

في جنّةٍ ضاعت

من احتمالنا.

بمكانٍ آخر، مكانٍ غيرَه.

أنّى لصدى كلماتنا أن يعود.

مديح الأحلام

بحُلمي
أُلوّن "ديلفت" كأنني فيرمير.

أتكلّم يونانيّةً مُفصّحة
مع غير الأحياء.

أقود سيارةً
تُطاوعني.

موهوبةٌ أنا،
في نظم شعرٍ ملحميّ.

أسمع أصواتاً
بوضوحٍ، كقدّيسٍ مخلّص.

ألحاني على البيانو

تُحيرك، بسيطة.

أطيرُ بمسافةٍ موصوفة

خارج ذاتي.

أهبط على سقفٍ

كهبوطي فوق مرجٍ، بسلاسة.

أتنفّس تحت الماء

دون صعوبة.

لا أتذمّر،

فقد اكتشفت أطلانطا.

أبتهج على الدوام،

فأصحو قبل الموت.

حين تبدأ الحربُ، فوراً
أدور إلى جنبي المُفضّل.

كائنٌ أنا، لكن لستُ
طفلةَ الأزمنة.

منذ أعوامٍ
رأيتُ شمسين.

وقبل أمس، بوضوحٍ كما أقول
رأيتُ طائرَ بَطريقٍ.

مطربة عجوز

"يغنّي الآن: ترالا ترا لا.

اعتدت غناء: ترالا ترا لا.

أتُميّز الفرق؟

بدل الوقوف هنا، وقف هنا

ونظر هناك، ليس هناك،

فالصوت أعلى من هناك،

وليس أعلى من هناك

حيث اعتدت السرعة،

ليس مثل بامبا رامبا بم،

لكن ببساطة بامبا رامبا بم،

لحن شوبك. بومبونيري،

ومَن يذكُرها الآن.".

جونار أكيلوف

أمير امجيون

ولد جونار أكيلوف في استوكهولم 1907، أحبّ عزف البيانو فدرس الموسيقى في باريس، ثم الدراسات الشرقية في لندن وأبسالا. شعره خليط من إشارات خفية باطنية واعترافات شخصية بسيطة. نشر 1932 أول دواوينه "هبطتُ أخيراً" (أو: الكتاب الانتحاريّ، كما سماه النقاد)، يعكس استشرافاً بين الذات والموضوع دون تداخل كما بحالة الغشية الصوفية. وقيل إنه متأثر بالسوريالية الفرنسية، لكنه أنكر التهمة. رغم ذلك، يُعتبر شعره إبداع متطرف بالقياس مع أنماط الشعر السويدي. ففي "أغنية المعبر" (1941) و"لا فائدة" (1945)، يتراوح بين نزعة صوفية ونزعة عقلية. وفي

"هراء" (1955) و"ما نشكّ فيه" (1959) و"ليلة بالأفق" (1961)، شعر نقيض للجماليات المعروفة. أما في "مرثية مولنى" (1960) فقد جمّع الماضي والمستقبل والموت ضمن حياة واحدة. وكرّس ثلاثيته ("ديوان" و"فاطمة" و"العالم الآخر") (1967/1965) لعشق الذات العُلى بهوية صوفية.

قاربت دواوينه العشرين، كما ترجم أكيلوف إلى السويدية عدداً من الشعراء: إليوت، جويس، أودن، بودلير، رامبو، ... يعتبره النقاد أعظم شاعر غنائي عرفته السويد. توفي بالسرطان 1968، وأوصى بنثر رماده في بلدة سرديس القديمة بالسويد. وما نترجمه جزء من "قصائد مختارة" (بنجوين، 1971).

سمعتُ هاتفاً في الحلم:

ـ يا حبيبُ، أما لك من نصيب

في هذه الثمرة أو بعضها؟

رُحت في توترٍ عظيم

فالسؤالُ اللغزُ طلبَ حياتي!

أوثرُ الكلَ عن قطعةٍ أم النقيض،

لا، معاً. فقطعة الكلِّ كالكلِّ،

خيارٌ لا يستوجبُ الإنكار.

كلامي إليكَ

منكَ،

من عمق أعماق ذاتي

وأعلم لا جوابَ

أنّى لكَ أن تُجيب

وقد ضرعنا كثيراً إليكَ!

أطلبُ الصفحَ بوقفتي هاهنا
أرتقب، فهبني علامةً
منّي عليكَ!

وحدكَ، واقفٌ بالأزرق
أزرق سماءِ الليل
دون ولد، قدرُكَ
ملائكة بستةِ أجنحة
رهن مشيئتكَ
وأنا بحِملي الثقيلِ
أمير امجيون، فوق الجبل
المعروف بـ "التواضع".

أراك من بعيد
من بحارِ الدخان تشرق
بمِئزرٍ كاملِ الطيّات، لا تراني.

لكنني يا غريبُ

أدفعُ للوصول، نحوكَ

كرجلٍ وحيد بمجذافٍ وحيد

على حرفِ مركب

يجذبني شيءٌ أقوى

فتخسر يدي بالعراكِ قبضَتها

ويستدير المركب

إلى حلقات ليل أو نهار

حتى لا تضيعُ قبضتي عليك.

يا أنتَ كُن مجذافي!!

بعطفكَ ورحمتكَ

تضمّ أيدي البشر

متّزناً والزهرُ على طرف أناملكَ

تلمسني كالنسيم

بحواسّي كلها، شذا جلدكَ

صوتكَ، وعناقكَ

أشدّ قوّة عند حدّكَ.

. ماذا أوقع بي، لا تَسَل.

غطّتني حريصةً بردائها الأبيض،

وسقتني رشفةً من خمرةِ المسلم

فأرقدتني لأرتاحَ

بين صخرتين في مهبّ الريح.

ذراعاكِ حولي

قائمتان غير قائمتين.

تسمحين بقُبلةٍ فوق ثديكِ

ذلك الذي فوق قلبكِ

ثم تُخلّينني

بعد تقبيل حاجبيّ.

تنعسُ بعباءتها

من؟ الروح، روح البشَر

ماذا تَنشُدُ من قَدَر؟

يهبط نجمٌ إلى الناعسة

روحُه أمَ النائمين الأُخر.

فساعديني لأُفيقَ

يا أحكمَ الحرّاسِ

يا ذات نومٍ رفيق

بحَبلِ أجراسِ معصَمكِ

ساعديني لأُفيقَ!

حلمتُ باغتصابكِ. عبر نومكِ!

حلمت بعناقٍ. وألهبتُ حلمكِ

يا من تشدّين الحَبلَ

وتهزهزين المهدَ في نومكِ.

لي أن أصفَ العلاءَ،

سأختارهُ أزرقَ

مع نقطتين من ذهبٍ:

نجمٌ عند رأسكِ

نجمٌ عند قدميكِ

وتحت قدميكِ تصويرُ مرآةٍ

تلاشت إلى النجمِ.

لي أن أصفَ السعةَ

سأختارهُ العناقَ

أحاسيسي، بالية زائغة

عاجزة عن لحاق ما هو موجودٌ.

ولا نجوم هناك، حيث رأسكِ باقٍ

لا أصلَ مركزٍ، حيث قدماكِ

مرتكزتان، بل جزيرة عشقكِ

التي وطئتُ.

يا منِ لها قدرةُ أن تهِبَ

لا أن ترغبَ

لا أن توجدَ

مَن لا يحبّكِ

مَن يحرّرنا مِن العشق

الميلاد، الألم، الموت!

لو أرى، خارج النطاقِ

قلبكَ: أحمر؟ أبيض؟

يا خارجَ النطاق، أَبِن لي قلبكَ!

هل أبيض؟ أحمر؟

يا خارجَ النطاقِ، لأنتَ شجاعٌ بما يكفي؟

يا قلبُ، أنتَ شجاعٌ؟

قل لي عما تلبس من قناعٍ

كيف تلوّن نفسكَ أبيضَ أحمرَ

حتى ليظهرَ خداك جميلين

وقدماك صغيرتين

فنرى بمشقّةٍ ما تحت مئزركَ الأزهَر.

رأيتهمُا بمركبٍ هبط عليّ

أيّهما، حين حلّ المركب،

لاطَفَني كما لاطَفتُه.

إصبعٌ طويلٌ رائع

رأسُ إصبعٍ طويلٌ

بعده الباقي في اتّساقٍ بديع

حدبةٌ بالقدم

وكعبٌ ضيقُ الزاوية

كحُسامٍ مُورّدٍ على الصّوّان.

لا، يا أيها الرحيم، الرحيمة

لا تهبا الخبز، لا الثدي، أو الماء

لا سكناً بالليل ولا فِراشَ عرسٍ

هي لا تمنحُ، لا تقدر أن تمنح

صادقةٌ

الرحيمة. تمنح ما لا تمنح

ما لا تقدر أو لن تقدر أن تمنح

هبةً يطلقون عليها البعاد
وأنت، يا قديراً على العشق
كنتَ هناك، مررتَ سهواً.

حشوتُ رصاصةً من أجلكَ
لأُرديكَ في قلبي
قَولَبتُها من حجرٍ، سنّه مجرمون
من رصاصٍ، غمروهُ بالدم
من حديدٍ، مُغمّسٍ بالعسل
قطعة معدنٍ مهروس بحوافّ مُسنّنة
لتشقَّ أعتى الجراح، فتُحسّ
ما نعنيه الموتَ عشقاً.

صورةٌ سوداء
مؤطّرةٌ بفضةٍ بليَت من التقبيل
صورةٌ سوداء
مؤطّرةٌ بفضةٍ بليَت من التقبيل

مؤطّرةٌ بفضة

صورةٌ سوداءُ قد بلِيَت من التقبيل

مؤطّرةٌ بفضة

صورةٌ سوداءُ قد بلِيَت من التقبيل

حول الصورة

فضةٌ بيضاءُ قد بلِيَت من التقبيل

حول الصورة

معدنٌ بلِيَ من التقبيل

مؤطّرةٌ بمعدنٍ

صورةٌ سوداءُ قد بلِيَت من التقبيل

سوادٌ، آه، السوادُ

بلِيَ من التقبيل

سوادُ أعيننا

بلِيَ من التقبيل

كلّ ما تمنّيناهُ

بلِيَ من التقبيل

كلّ ما لم نتمناهُ

قبّلناهُ حتى بلِيَ من التقبيل

كلّ ما فررنا منه

قد بلِيَ من التقبيل

كلّ ما نتمنّى

قبّلناهُ وقبّلناه.

أرفق يدكَ على قلبي

خفيفاً كمَسّ الجناح

حتى يقرّ، ليخفقَ

بافتتانٍ أمامكَ

دعهُ قلبي يخفقُ

فأصمدُ ويداي مرفوعتان

إليكَ من حاجةٍ.

مذبحة صربنيتشا

هيئة الغول

للترجمة دور كبير بتنوير الشعوب بين بعضها البعض، واستبقاء العالم حياً. فالذين ينقلون المعرفة من وإلى الآخرين لا يَقتُلون. لهذا فالمترجم رسول التنوير الذي يُشيع القيم الفاضلة ويبث روح المقاومة ويبعث الخير والكرامة داخل النفوس. وإحياء لذكرى مذبحة صربنيتشا التي راح ضحيتها آلاف الشهداء بالبوسنة، عثرت على قصيدتين: لشاعر صربيّ (بوجوميل جيزيل، مواليد الصرب 1939) وشاعر بوسنيّ (أحمد محمد إماموفيك، مواليد سراييفو 1944). يعبّر الصربي عن حال عدوانية وروح تهوى القتل والتدمير حيث تعيش شخصية النصّ الافتراضية داخل عالم رحب مهيمن،

أما البوسنيّ فيعبّر عن حال استسلام كامل وضعف إنساني أمام هاجس الفقر والهزيمة. المرّة وتخنق شخصيةَ النصّ الافتراضية جدرانٌ بدون أمان. وتولدت الترجمة هنا رغبةً منا في توأمة مخازي الإنسانية التي يتعرّض لها شعبنا العربيّ في فلسطين مع ما تعرّض له إخواننا بالبوسنة ذات يوم أسود. ونؤكد بما قاله والت ويتمان بديوانه "أوراق العشب" قبل ما يقرب من مائة عام "الأرض ملولٌ/ تجابهُ عصراً مستجداً/ ربما حرباً مقدسةً شاملة!"

شاعر محترف

شعر: بوجوميل جيزيل (الصرب)

كلمةٌ أخيرة، همهمة عاجلة أخيرة

فتنهض بعد يوم عملكَ، عن المائدة

لتلحقَ أولَ باصٍ إلى المطبخ

تقطع كتلة خبزٍ، وتستنشق روائح فرنٍ طيبة

جسمكَ يُثقله التعب، لكن الفرن

محشوَ بطعامٍ دسم،

افتح الجهازَ، عاين خلفيةَ المشهد

من شاشةٍ أخرى، بإصبعٍ مبتلّ

تُقلّب صفحاتِ السماء.

لا شيءَ من عدمٍ.

ياسمينٌ يعرّش، طافياً بالخلاء...
كأنه يتدرّب على اللفّ والدوران.

تجلب لك ابنتكَ كرسياً
والمائدة مجهّزةٌ، زوجتكَ تُنادي
من نافذة عالمٍ متوارٍ.
تتنزّه بعد العشاء، سيراً في الحديقة
بلباس رجال فضاء تنضغط وحدك
النجوم كلّها حواليكَ
ومن تحتكَ.

فلتُعد توجيه هوائياتكَ.
شجرةُ كمثرى مقلّمةٌ حديثاً، تحتاج لسمادٍ.
تعود لمركبةِ القمر:
بابا، ماذا يعني أن أكونَ على هيئة الغول؟

تنحلّ المنظومة كلّها، فجأةً

فتدوّم قصاصاتُ الورقِ إلى سَقطةٍ حرة

حول المائدة:

ورق لم يمسسه أحد

وقلمك منذرٌ بالشرّ كمسدّس.

في العالم البهيج بالفئران والرطوبة

شعر: أحمد محمد إماموفيك (البوسنة)

أيّ نوع من الأبواب عندك

ثبّته بمكانٍ

فلا تسمع صريره، أو تراه.

أيّ نوع من الأبواب

مهما كان طوله

أحكم غلقه

مع إمكانية فتحه سهلاً،

فأغلقه بآليةٍ بسيطة

حتى لا ينفتح أبداً.

حتى لا تسمع كيفما تسمع

أو ترى كيفما ترى.

أصواتُ بابكَ

من صفيحٍ فارغٍ بغطاءِ سيلوفان منقّط.

فلنضغط رقابنا

بروابط عنقٍ مغسولة

ونرتدي سراويلنا من التنظيف الجاف

ثم نرمي إيصالات الخدمة

ونأخذ ساعاتنا نُصلحُها،

لنغلق أبوابنا بآليةٍ محكمة

لنمنع من معنا بالداخل

أن يأتونا من الخارج.

أغلق بابكَ

وطالب النجّار السمين بصنع بابٍ آخر

أمّن على نفسكَ بأقفالٍ

وأجهزةِ أمان

ثم نَم مع أحلامٍ لذيذة

ألا يأتوا إليكَ، دون استئذانٍ
لتناول الشاي والبسكوت.

انزل بنفسكَ إلى البدروم
وتعايش مع الفئران، مع الرطوبة
في العالم البهيج بالفئران والرطوبة.

لا تدع أحداً يطرقُ بابكَ
خلِّ أمركَ للباب، دون طَرْق
فالأبواب السميكةُ مقهورةٌ،
قد تنقذك، أبوابٌ مثالية
تُركَبها واحداً بعد آخر
بمعدات ثقيلة مُعقَدة في الخلاء.

ضع قدّومك بالألواحِ السميكة
في شِقّها المعدّ لتسليم رسالةٍ صغيرة مأمولة،
ثم اصنع مراكبَ أولادٍ، من ورقٍ

تحفظه للردّ على خطابات.

اصنع مراكبَ أولادٍ

فامخُر بها عُبابَ مواسيرِ المجاري

كغوّاصات صغيرة.

عش مع الباب، من جانبه الداخليّ

اقضُمه. كُلْ منه واشرب

خفّض وزنك

وزِدْ وزنك

معه، ازرعْ واستدفئ

مُرتجفاً قربَ بابكَ.

مُتْ، دون أن تُحيي ذكرياتك

في مصعدٍ، جاء بكَ من حيث أتيتَ.

مثل رفيقٍ مسافر

بعصيرِ طماطم.

حينَ لا يصيبكَ الجنونُ، أحياناً قليلة

ادعُ أصحابكَ لزيارتكَ

لكن أدخلهم من مسالك أخرى

فهذه الأبواب لا تُفتَح.

فرناندو بيسوا

روحي لن تجدني

يعتبر فرناندو بيسوا المثال الأكثر تطرفا على طبيعة وتحدّيات شعر الحداثة، مثال انطوائيّ لكنه موضوعيّ. لم يسع أحد للعثور على ما هو غير شخصيّ بشعره، مثل معظم شعراء الحداثة النابهين. فقد تقبّل انقسام ذاته حتى أنه سمح بفعل غريب: كان يكتب شعراً بأربعة أسماء ـ هو وثلاثة "توابع". لم يكونوا شعراء زائفين بل متخيلين لكل قصائد واقعية مميزة باسمه.

بيسوا إذن أربعة شعراء في شاعر واحد: ألبرتو كاييرو، ريكاردو رييس، ألفارو دو كامبوس، فرناندو بيسوا. يكتب كلّ منهم بصورة مختلفة عن الآخر: يكتب كاييرو الشعر الحرّ، وتختلف قصائد كامبوس عن سابقه في نبرتها، ويكتب رييس شعراً موزوناً لكن دون إيقاع، أما

بيسوا نفسه (عدا قصائده المبكرة) فيكتب شعراً موزوناً وإيقاعياً بشكل كامل. يبدو كأنه يكتب من اللاوعي، لكن الواقع لم يكن مصادفة.

يصنف شعراءه الأربعة هكذا: كاييرو، ما كان يتمناه بيسوا لبساطته الشديدة، وقد استحوذ على كل شيء، وهو ما اشتاق بيسوا أن يكونه ولم يستطع. رييس، الأقرب إلى بيسوا حين يودّ أن يصبح كاييرو، ومن بطن كاييرو يعمل رييس بوثنية تعاليمه الجمالية، أبيقوريّ حسيّ تارة، وأخرى رواقيّ قدريّ، رغم وعيه أنه على صلة صافية بالبيئة المرتبطة بمسحة مسيحية. أما كامبوس- فهو من أنقذ بيسوا نفسه من الوقوع بحِضن رييس.

بدأ بيسوا انبساطياً ثم انتهى انطوائياً. بدأ مصمماً أن "يحسّ بكل منحًىً فيه إحساس"، وانتهى استحواذياً مرضياً يتساءل إن كان هو نفسه حقيقياً أم لا. وكشاعر بسمعة مقبولة، نضج كاملاً بمجرد ظهور "توابعه": كاييرو مثالي، رييس الأفضل ثانياً، أما كامبوس فيؤدي أسفار بيسوا نيابةً عنه، لكن لا مهرب أخيراً من العودة لاستكشاف الحقيقة.

ولد بيسوا 13 يونيو 1888 في لشبونة، وتوفي 30 نوفمبر 1935. في عمر الورد فقد أباه، وتزوجت أمه ثانية. تلقى تعليماً إنجليزياً في دوربان بجنوب إفريقيا حيث كان زوج أمه قنصل البرتغال هناك. عاد إلى لشبونة بالسابعة عشرة، وظلّ هناك ثلاثين عاماً حتى آخر عمره. يكتب رسائله بالإنجليزية والفرنسية. توظّف بشركة تجارية في لشبونة تدرّ عليه دخلاً متواضعاً يمكنه من تكريس نفسه لكتابة الشعر خالصاً بإذعان نداء غريب من جسمه، فكأنه كما يقول المعرّي "أفرّق جسمي في جسوم كثيرة".

انقسمت فيه شجرة التعدد 1914. لكن، كيف؟ في خطاب بتاريخ 13 يناير 1935 كتب بيسوا إلى كاسيس مونتيرو أنه كان يقيم حوارات مطوّلة مع أشخاص متخيلين بطفولته، لا يسمعهم فقط بل يراهم ويسميهم. وفي 1912 جرّب كتابة قصائد وثنية فشلت ذريعاً، لكن تلبّثت معه "صورة غامضة" عن كاتبها. قال "دون معرفة مسبقة، تولّد مني ريكاردو رييس".

في أقلّ من عامين، وعلى سبيل الفكاهة، جرّب اختراع آخر أكثر تعقيداً من مجرد شاعرٍ رعويّ، "يومها

كففتُ عن فعل أيّ شيء، وفي 8 مارس 1914، ذهبتُ فجأة إلى طاولتي العالية وتناولتُ ورقاً أبيض، فبدأت أكتب واقفاً كما اعتدتُ. أُلهمت ثلاثين قصيدة غريبة بنوعٍ من النشوة لم أحدّد هويتها. كان يوم النصر في حياتي كلها، فلم أنل مثله أبداً. بدأت قصيدة "راعي قطيع". ورأيتُ أنها تنتسب لشبح آخر داخلي، فمنحتهُ فوراً اسم ألبرتو كاييرو. وسامحوني على عبث عبارة: ظهر سيدي داخلي. فهو ما نلتُ من إحساس عاجل".

وبعد قصائد كاييرو الثلاثين الغريبة، أمسك فوراً ورقاً آخر وكتب، مباشرةً أيضاً، ست قصائد تمثل حقيقة بيسوا، شخصياً وكاملاً. راح من بيسوا إلى كاييرو ثم إلى بيسوا من جديد وحيداً مع نفسه. فكأن ذلك ردة فعل بيسوا ضد منافسيه المتخيلين أمثال كاييرو. وليكشف غريزياً دون وعي خصائص كاييرو، يقول "قذفتُ رييس من وثنه الزائف مُبيناً عن اسمه، كيّفت نفسَه مع نفسِه، كما أراه فعلياً في تلك المرحلة. وبنوع من الشقاق المعارض لشخص رييس، برز مني شخص جديد كطَفح جلديّ. فقُمت للآلة الكاتبة، ودون مقاطعة أو تصحيحٍ أنشأتُ

"نشيد النصر" الذي نسبتهُ إلى كامبوس، قصيدة اخترعت اسمها وكاتبها على حدّ سواء".

وعاش بيسوا كما يقول "ثبّتُّ ذلك كله ضمن عفن الحقيقة. صنّفت تأثيرات توابعي وعرّفت كلٌّ منهم بالآخر، وكنتُ أسمع داخلي نقاشهم وانشقاق حلقتهم، ثم يُهيأ لي أني أنا خالقهم جميعاً، رغم أني أدناهم. كأن الأمر حدث دفعة واحدة ومستقلاً عني. كأنه لا يزال على هذا النحو...". وأترجم هنا عن "قصائد مختارة" (بنجوين، 1968).

الشاعر الأول: ألبرتو كاييرو

راعي شياه

لم أكن راعي شياه،

لكن بدا أني أراقبها،

روحي كالراعي، تعرف الرياح والشمس،

وتمضي يداً بيدٍ مع الفصول

تتابع وتنصت.

الطبيعة كلّها، دون بشر، ساكنةً تجلس إزائي.

لكني حزينٌ كالغروب

كما يُظهر لنا الخيال،

حين يهبط البرد جنب الوادي

نحسّ الليل هلّ

مثل فراشةٍ عبر نافذة.

حزني هادئ،

طبيعيّ وصحيح

كما ما ينبغي للروح

حين تظنّ الوجود

في قطف اليدين أزهاراً لا ترى ما هي.

في مشاحنات أجراسِ الشياه

خلف حنية الدرب، أفكاري مطمئنة.

آسف لعلمي أنها مطمئنة،

عِوَض أن تكون حزينة وراضية،

يُفترَض أن تكون سعيدة وراضية.

السير بالمطر غير مريح

حين تهبّ الرياح كمن يستزيد المطر.

لا طموحات عندي ولا طلبات.

أن أصبح شاعراً ليس طموحي.

مجرد طريقة للبقاء وحيداً.

عدم التفكير مطلقاً، ميتافيزيقا واسعة.

بمَ أفكر في العالم؟

أنّى لي أن أعرف بمَ أفكّر في العالم؟

لو مرضتُ لفكّرتُ فيه.

ما ظنّي بالأشياء؟

كيف أرى الأسباب والنتائج؟

أما من حلّ وَسَط بين الله والروح وخلق العالم؟

لا أدري. أفكر، يعني أن أغلقَ عينيّ.

لا أفكر، يعني أن أسحب ستارَ

نافذتي (كانت بدون ستار).

ما لغز الأشياء؟ أنّى لي أن أعرف

أني أعرف كُنه هذا اللغز؟

اللغز الوحيد أن يوجد من يفكّر في لغز.

إنسان أمام الشمسِ ويغلق عينيه

فلا يعرف كُنه الشمسِ

فيفكر بأشياءَ مُفعمةٍ بالحرارة.

وحين يفتح عينيه فينظر الشمس،

لا يقدر على التفكير في شيء،

فنور الشمس أكثر من مجرّد أفكار

للفلاسفة كلّهم والشعراء جميعاً.

لا يعرف نور الشمس ما يفعل

فيتيهُ مثل من هو شائعٌ وطيب.

ميتافيزيقا؟ ما ميتافيزيقا الشجر؟

أنها خضراءُ بتيجانٍ وغصون

كما تمنح الفاكهة أوانها. ما لا يجعلنا نفكر،

ولا ندري إن كانت تعي بنا.

لكن الميتافيزيقا الأفضل من الشجر،

ألاّ تعرف لمَ تعيش

ولا تعرف أنها لا تعرف أيضاً؟

يوم عاصفٌ صاف،

كأنك تتمنّى لو أدّيت كَومةَ أعمالٍ

ولا تفعل أيّاً منها يومَها،

فأنعم البصرَ، كدربٍ سالكٍ بين الشجر،

فيما يكون "سرٌّ أعظم"،

"السرّ الأعظم" حديثُ الشعراء الزائفين.

فلم أره بأيّ "طبيعة"،

"الطبيعة" عدم،

جبال، وديان، سهوب،

أشجار، أزهار، أعشاب،

أبخرة وأحجار،

كلّ ما يخصّها من "قدرة كليّةٍ" عدم،

وأيّ صلاتٍ من حقيقةٍ واقعة

مرضٌ بأفكارنا.

"الطبيعة" شذرات دون "قدرةٍ كليّة".

وهذا السرّ الذي يزعمون.

أدركتُه دون تفكيرٍ
أو حتى سكتة، فهو حقيقة
شرعنا نجدها ولا نجدها
ووحدي، حين لم أجرّب أن أجدها،
وجدتُها.

رحتُ داخل الدار فأغلقتُ النافذة.
جلبوا مصباحاً ومنحوني ليلةً طيبة،
صوتي الراضي منحهم ليلةً طيبة.
حياتي على هذا النحو:
نهارٌ مفعَمٌ بالشمس
أو رَطِبٌ بالمطر،
أو عاصفٌ ككلمةٍ وصلت نهايتها،
المساء ناعم وجماعات البشر تمرّ
أرقبها باهتمامٍ من النافذة،
نظرة أخيرةٌ ودودة وهبتني سكينة أشجار،
ثم أغلقت نافذتي، نوّرتُ مصباحي،

ولم أقرأ،

لم أفكر بشيء،

ولم أنم،

فأحسّ الحياة تدفُقُ عبري كنهرٍ في سرير،

هناك صمتٌ عظيم

كأن قلباً نَعِس.

الشاعر الثاني: ألفارو دي كامبوس

لديّ أحيانا

تهلّ عندي أفكارٌ سعيدة، أحياناً
أفكارٌ سعيدة، فجأة، ضمن أفكارٍ أخرى.
فتهتزّ فيما بينها الكلماتُ طلقةً بالفطرة...

بعد الكتابة، أقرأ...
ما دفعني لتسطير هذا؟
أين كنتُ لأجد هذا؟
ومن أين حطّ عليّ؟ بأفضلَ من طاقتي...
هل نحن في العالم، على أحسن تقدير،
قلمٌ وحبر. ليسطّر امرؤ إنّا هنا
مجرّد ذرّة؟...

متعبٌ أنا

واضح أنني متعب،

والناس بمرحلةٍ معينةٍ، يتعبون.

لكن ممّ أتعب، لا أدري:

ولا يفيدني أن أدري

فالتعب يظلّ مجرّد تعب.

جرحٌ مؤلمٌ ويؤلم

في غنىً عما قد يُحدثه.

نعم، متعبٌ،

لكني أبتسم في شحوبٍ أبداً

حيث يكون التعب.

في جسمي خيالُ النوم،

في روحي رغبةٌ ألاّ أفكر

متوّجةٌ بشفافيةٍ منعّمَة

عن تفاهم مُستعاد...

أهي رفاهيةٌ أن تشرُدَ الآمال عني؟

ذكيّ أنا: وهذا كلّ شيء.

رأيتُ الكثير، فهمتُ أكثر مما رأيت.

ولذّتي لا ريب في التعب

الذي يشملنا،

ففي النهايةِ يخدمُ الرأسَ شيءٌ.

عندي برد فظيع

عندي برد فظيع،

وتعلمون أن البرد الفظيع

يُبدل نظامَ الكونِ،

يجهّزنا ضدّ الحياة،

والميتافيزيقا تعطسُ منه.

ضيعتُ يومي كلّه أنفخ بفمي.

ورأسي في ألمٍ غامضٍ.

وضعٌ حزين لشاعرٍ متواضع!

اليوم حقاً أنا شاعر متواضع.

ما كنتُه بأيامي الخوالي أمنية، وراح.

وداعاً، يا مليكة الجنيات!

جناحاكِ من شمسٍ، وأنا أمضي هنا.

إن لم أرقد في فراشي، فلن أبرأ.

لا يشفيني غير الرقود فوق الكون.

اغفروا لي قليلاً... يا له من برد فظيع!...

فيزيقيّ! أحتاج الحقيقة وأسبرين.

الشاعر الثالث: ريكاردو رييس

توّجوني بالورد

توّجوني بالورد،
توّجوني حقاً بوردٍ.
وردٍ مُحرقٍ
على جبينٍ محترق
اخرجوا حالا!
توّجوني بوردٍ
مع ورقٍ زائلٍ.
فذلك أجدَى.

أنا الهارب

أنا الهارب،

بعد مولدي

حبسوني داخلي

فرحلتُ.

روحي تفتّش عني،

بين وديانٍ وتلال،

آمل أن روحي

لن تجدني.

بين زمنين

بعيداً بعيداً،

بعيداً عن هنا...

لا قلق يأتي بعد فَرحٍ

أو يبعد عن خوفٍ

بعيداً عن هنا.

شفتاها غير حمراوين،

وشعرها ليس من ذهب.

يداها تلعبان بالخواتم.

فلا تدعني أحضنها،

تلعب يداها بالذهب.

كانت من الماضي،

بعيداً عن الألم.

لا يمسّها فرحٌ، ولا يدخل
نطاقَها أملٌ،
ولا الحبّ من أصله.

ذات يوم،
وراء الظلّ والنور
قد تفكَر بي فتمنحني
سعادةً كاملة
لا يراها منظوري الآن.

الشاعر الرابع: فرناندو بيسوا

وهي تمرّ

حين أجلس إلى نافذة،

أبصرُ صوراً خلاّبةً

بين الزجاج، لطّخها الثلج،

وهي تمرّ تمرّ تمرّ جنبي...

ـي أسىً ألقَى حجابَه.

أصغر ممن خُلق بالعالم،

حيث لم يعد بالسماء أيّ ملاك.

حين أجلس إلى نافذة،

أبصرُ صورةً، صورتها،

بين الزجاج، لطّخها الثلج،

لا تمرّ، لا تمرّ جنبي...

أعرف أني وحيد

أعرف أني وحيدٌ

يؤلمني هذا، فالقلب

لا حقيقة أو صفةً

لا لحناً ولا فكرة.

أنا فقط، فقط أنا

ولا أقول هذا

شعوري مثل السماء.

مرئيةٌ، ولا شيءَ فيها نراه.

الحب أصلٌ

الحبّ أصلٌ.

الجنس عارضٌ.

قد يعادل أو يختلف.

والرجل غيرَه الحيوانُ:

لحمُه ذكيٌّ،

لكن يمرض أحياناً.

أحسّ الخيال

يزعمون أني دعيٌّ أو كاذبٌ

فيما أسطّر. ولستُ أيهما.

أنا، ببساطة

أحسّ الخيال.

لا أستخدم وترَ القلب.

كل ما أخسرهُ أو أحلُم به،

يمضي سريعاً إلى فناءٍ،

كشرفةٍ تُطلّ على ما تحتها.

ذلك ما يقتادني.

أكتب عن أشياء

ليست أبعدَ من قدم المرء،

أحرّر من جنوني،

يعنيني ما لا يعنيني.

أحسّ؟ دع القارئ يحسّ!

شعراء من أمريكا

اميلي ديكنسون

الحبّ سابق الحياة

ولدت إميلي ديكنسون في أمهرست بولاية ماساشوسيتس في الولايات المتحدة آخر 1830، وظلت تعيش في عزلة مع أختها وأمها بالبيت الذي ولدت فيه، عدا فترة قصيرة درست فيها بأكاديمية أمهرست، حتى توفيت في مايو 1886، ناتج مرض بالكليتين. كانت امرأة حيوية لكنها انسحبت من الحياة وتنسّكت كلياً في العشرين من عمرها. انحصر نشاطها في الانخراط بجوقة الكنيسة ومراسلة أصحابها بين حين وآخر، أو كتابة الشعر. حاول النقاد تقصّي أسباب عزلتها ورصد تجاربها الحميمة ومشاعرها المجرّدة عن الحياة، فلم يجدوا غير أنها لم تكن تستطيع كتابة العالم دون الانسحاب منه وتأمّله من بعيد.

كان لها ثلة من المعارف، بينهم الناشر توماس هيجنسون، بعثت إليه أربع مقطوعات فرفض نشرها بحجّة غرابتها، لكن بعد وفاتها قام بتجميع قصائدها ونشرها. لم تنشر طيلة حياتها غير ست قصائد على مضض ودون موافقة منها. وتعتبر ديكنسون من أعذب شعراء أمريكا، لكن غنائيتها مرتبطة بالدين والتاريخ والفلسفة والصوفية. كانت تستخدم علامات الترقيم لمجرد الحسّ بالإيقاع، فقصائدها مضطربة الوزن. شعر ديكنسون "يحرقُ كلّ شيء لكنه لا يصير رماداً"، كما قال عنها ناقد حداثيّ. بعد وفاتها بفترة طويلة، اكتُشفت خبيئة قصائدها التي بلغت 1775 قصيدة، رغم ذلك ماتت لم تدرك أنها شاعرة.

ليس عبثاً

لو حجبتُ الانتهاكَ عن قلبٍ
فلن أعيشَ عبثاً،
لو خففتُ الكآبة من حياةِ امرئٍ
أو أوهنتُ من ألم
فعاونتُ عصفوراً
ليبني عشّه من جديدٍ
فلن أعيشَ عبثاً.

الكلمة ماتت

يقول بعضهم، الكلمةُ تموت
حين تُقال. لكني أجزم
أنها تبدأ الحياةَ منذئذٍ.

لم نعرف أننا بالأعالي

لم نعرف أننا بالأعالي
حتى نُودينا لننهضَ،
وإن خطَطنا حقاً
فستلمس قدرتُنا السماءَ.

البطولة التي نروي
ستكون يوميةً،
ويجب أن ننحرف ذراعاً
حتى لا نصير الملك.

أحسّ طُهرانيةً عقلية

أحسّ طُهرانيةً عقلية
كأن مُخّي انقسم،
شِقاً بعد شِقٍ، حاولتُ رأب صِدعه،
لم أفلح.

فكرة راودتني لتنضمَ
لفكرةٍ سبقَت،
لكن الحصيلةَ أبعد من يدي
مثل كرتين في أرضٍ.

من لا يجد سماءً على الأرض

من لا يجد سماءً على الأرض

فلن يعثر عليها فوقه.

يسكن الله جنب العقل

الحبّ فراشُ بيته.

فليحذرِ الجرّاحون

فليحذرِ الجرّاحون

عند تناول المِشرَط!

فمشارطُهم الناعمة

تستثير المجرمةَ . الحياة!

الحبّ سابق الحياة

الحبّ سابقُ الحياة

لاحقُ الموت،

ومبدأ الخلقِ برهانُ التنفّس.

قلبي جانبي

ما ينبغي أن آتي به اليومَ

قلبي جانبي،

قلبي والحقول كلّها والسهوب.

تأكد حين تعدّ، هل نسيت،

سيحكي واحد من الجمع:

قلبي والنحل

مستقرّان في البرسيم.

لا أسعدَ من صخرة صغيرة

لا أسعدَ من صخرةٍ صغيرة

تهيمُ وحدها في الدرب،

غير مَعنيةٍ بمَهمّة

ولا تُضنيها الضروراتُ،

مِعطفها بُنيّ من أديمِ الأرض

يلبسهُ العالم العابر،

مستقلّة كالشمسِ

تتصل أو تنفصل وحدها،

فتُشبع أقدارها المطلقة

ببساطة عارضة.

مقبرةٌ منسية

بعد مئات السنين

لا يعرف المكانَ أحد،

لكن اللوعة

تظلّ هناك رابضةً كالسكينة.

يصطفّ عشبُ الظافرين،

بينما يتنزّه الغرباء متهجّين

علمَ إملاءٍ أعزل

لمن ماتوا أقدم.

ريحُ الصيف في الحقول

تعيد تعبيد الطريق،

فتلقط الغريزةُ مفتاحها

الذي أسقطته الذاكرة.

لا أحد أنا! من أنت

لا أحد أنا! من أنت؟

أنت أيضاً نكرة؟

إذن كلانا هنا، فلا تحك شيئاً!

سيطردوننا، كما تعلم.

الكئيبُ أن تصبح أحداً!

عمومياً كضِفدَع

تنطقُ اسمك طول عمرك

عند غولٍ غطريس!

بابٌ مفتوح على شارع

بابٌ مفتوح على شارع
أنا، ضائعةً أمُرّ.
لحظةُ دفءٍ مكشوفةٌ
ثريةٌ ورفيقة.

أغلق الباب فجأة،
أنا، ضائعةً أمرّ.
ضائعة أكثر، لكنّ
بؤسي منير.

فضاءٌ راح فيه الميتون

فضاءٌ راح فيه الميتون

لا يبدو البداية،

فعودتهم ممكنة

آخر عامٍ حارّ.

سنتبعهم

نحن أكثر من نصف شك،

تعزّ علينا

عودتهم الغالية.

غير مرئيّة

هامت بعيداً منذ عام
بقاؤها مجهول،
هل تحجبُ البريّةُ أقدامها
بمنطقة الأثير.

لا عين عاشت أو رأت
منا، نحن الجهلةَ،
نعلم فقط ميقاتَ عام
لقينا فيه لغزاً.

الوداع

اربط خيوط حياتي، يا إلهي،

أستعدّ للذهاب!

فقط نظرةً على الجياد.

بسرعة! هذا أجدَى!

ضعني من الجانب الواثق

فلا أسقط،

سنركب حتى يوم الحساب

وعن التلّ ننزل تدريجياً.

لا أذكر الجسورَ

لا أذكر البحار

أسرع فقط في سباقٍ محموم

ما اخترتُ واخترتَ.

وداعا لحياة أعيشُها،

وعالمٍ خبرتُهُ،

فقبّلوا عني التلالَ، مرةً واحدة.

أستعد الآن للذهاب!

آن سكستون

كتاب التحولات

ولدت آن سكستون 1928 في نيوتاون بولاية ماساشوسيتش الأمريكية. تزوجت في التاسعة عشرة ورُزقت بابنة. تعرّضت 1954 لأزمة نفسية أصابتها باكتئاب مزمن وانهيار عصبيّ حاد، مما جعلها تعتاد المصحات النفسية. بعد إنجاب ابنتها الثانية تعرّضت لانهيار عصبي أكبر، فنُقلت حضانة طفلتيها بعيداً عنها. حاولت الانتحار 1955 وفشلت. التحقت بورشة للشعر بإحدى المصحات، وهكذا تفجّرت مواهبها. أصدرت عدداً من الدواوين: الجميل لي، عش أو مت، قصائد حب، كتاب التحولات، كتاب الحماقة، كراسات الموت، وغيرها. في السادسة والأربعين، بعد نيل جائزة

بوليتزر في الشعر، خسرت معركتها مع المرض ونجحت في الانتحار 1974.

تعتبر سكستون أفضل من عبّر عن تجاربها الحسيّة، وقد كتبت الإيروتيك الجنسيّ بافتضاح أحياناً. وهذه القصائد المنشورة ضمن "كتاب التحولات" (هيوتاون، 1980)، تسعى لخلق أسطورة عصرية لحكايات شعبية تتداخل فيها التجربة الشخصية بالسياق الأوّلي للأسطورة المحفوظة.

سنو هوايت والأقزام السبعة

لا يهمّ ما تعيش من صور الحياة

فالعذراء رقم بديع:

وجنتاها هشّتان كورق سيجارة،

ذراعاها ورجلاها من جِير،

شفتاها كدُمية "دو روان"،

تدير عينيها الزرقاوين الصينيتين كالدُمية

تُفتح تُغلق. تُفتح بـ

نهار سعيد يا ماما،

وتُغلق كهجوم وحيد القرن.

لم تُطبخ من الأرض،

فهي بيضاء كعظم السمك.

كان يا ما كان عذراء جميلة

تُدعى سنو هوايت.

لنقل عمرُها ثلاثة عشر.

زوجة أبيها، الجمالُ في صفّها،

لم تسمع عمّن يبزّ جمالَها

رغم أنه يتآكل مع السنين.

فالجمال عاطفة بسيطة،

لكن آه يا أصحابي، عليكم أن ترقصوا

في النهاية رقصة النارِ بأحذيةٍ من حديد.

لدى زوجة الأب مرآةٌ تشير.

كنَشرةٍ جوية. مرآة تدلّ

على جمالٍ واحدٍ في الأرض. تسأل،

وهي تنظر في بنّور الحائط،

من فينا أجمل؟ فتردّ المرآة،

أنت، الأجمل منا جميعاً.

والخُيَلاءُ ينفخها كالسمّ.

ردّت المرآةُ فجأة،

مليكتي، أنت كاملة الأوصاف حقاً،

لكن سنو هوايت أجملَ.

ولم تكن سنو هوايت وقتئذٍ شيئاً ذا بالٍ

مجرّد جُرذٍ مُغبّرٍ تحت الفراش.

نظرت الملكة فرأت على يدها بُقعاً بنيّةً

وأربع شعرات على الشَفة

فحكمت على سنو هوايت

بتمزيق أوصالها حتى الموت.

هات لي قلبها، صاحت على الصياد،

أُملّحه وآكل منه.

رغم ذلك، حرّر الصياد أسيرَتَه

جالباً قلب خنزيرٍ إلى القلعة.

مَضغَته الملكةُ كاللحمِ المُقدّد.

قالت، الآن صرتُ الأجملَ،

وهي تضع بخصرها أصابعَها البيضاءَ النحيلة.

ظلت سنو هوايت تسيرُ بالغابةِ

أسابيعَ وأسابيع.

بكلّ دورةٍ عشرون مدخل

وبكلّ مدخلٍ يقف ذئبٌ جوعان،

يتدلّى لسانه كالدودة.

تصدح الطيور بخلاعة،

تشقشقُ كالببغاوات القرنفلية،

والثعابين معلّقةٌ بحلقات،

كانت شَرَكاً لرقابها البيضاء اللذيذة.

بالأسبوع السابع،

وصلت الجبل السابع

فعثرت بمنزل الأقزام.

كان فوضى ككوخ شهر العسل، لكنه مجهّز

بسبعة أسرّة، سبعة مقاعد، سبع شوك

وسبع خزائن بالغرف.

أكلت سنو هوايت سبعة أكباد دجاج

ثم رقدت لتنام، أخيراً.

دار الأقزام، كسندوتشات سجق ساخنة،

ثلاث مرات حول سنو هوايت،

العذراء النائمة. مضفَّرين بحكمةٍ

كقياصرةٍ صغار. نعم. بشارةٌ طيبة،

قالوا، ستجلب لنا الحظ.

على أطراف أصابعهم ليروا

سنو هوايت تستيقظ. أخبرتهم

عن المرآة والملكة المجرمة،

فطلبوا التريّثَ عندهم لرعايةِ البيت.

قالوا: حذارِ من زوجةِ أبيكِ.

ستعرفُ حالاً مكانكِ.

وأثناء عملنا بالمناجم، نهاراً

لا تفتحي الباب.

نظرت في بنّور الحائط...

أبلغتها المرآة، فارتدت الملكة أسمالاً

وراحت كبائعٍ جوّال لصيد سنو هوايت.

سافرت عبر سبعة جبال

حتى وصلت منزل الأقزام.

فتحت سنو هوايت الباب

لتشتري وشاحاً صغيراً.

لفّتهُ الملكة بإحكام حول صدرها،

بإحكام ضمادة الآس،

بإحكامٍ حتى أُغميَ على سنو هوايت.

فسقطت أرضاً، زهرة مرجريتا مُقتلَعَة.

حين عاد الأقزام فكّوا الوشاح

فعادت الروحُ بمعجزةٍ.

عادت مليئةً بالحياة كفُقّاعة صودا.

حذارِ من زوجة الأب،

قالوا. فستحاول معكِ من جديد.

نظرت في بنور الحائط...

فأبلغتها المرآة ثانيةً، وثانيةً

ارتدت الملكة أسمالاً

ومن جديد فتحت سنو هوايت الباب.

اشترت هذه المرة مشطاً مسموماً،

شكلَ عقربٍ ملفوف بثماني بوصات،

وضعته بشَعرها فأُغميَ عليها ثانية.

عاد الأقزام واستخرجوا المشط

فعادت الروحُ بمعجزةٍ.

فتحت عينيها بوسعهما مثل آني اليتيمة.

حذارِ حذارِ، قالوا، لكن المرآة أبلغت،

فرجعت الملكة،

سنو هوايت، كأرنب صمّاء، فتحت الباب

وقضمت تفاحةً مسمومة

وأُغمي عليها للمرّة الأخيرة.

حين عاد الأقزام فكّوا الوشاح،

وبحثوا عن المشط، دون فائدة.

حمّموها بالنبيذ، ودعكوها بالزبد

فلم يُجد ذلك نفعاً.

كانت ترقد ساكنةً كقطعةِ ذهب.

لم يستطع الأقزام السبعة

دفنها في الأرض السمراء،

فصنعوا كفناً من زجاجٍ

على الجبل السابع أقاموه

ليختلس مَن يمرّ هناك النظرَ إلى جمالها.

ذات يومٍ من يونيو مرّ أميرٌ

فلم يتزحزح.

لبث طويلاً حتى اخضرّ شعرُه

ولم يرحل. أشفق عليه الأقزامُ

فمنحوه بنّور سنو هوايت.

عينا الدمية فيه مغلقتان للأبد.

ليحفظه بقلعته البعيدة.

بعد حمل رجالِ الأمير الكفنَ

عثروا فأسقطوه. انبثقت قضمةُ تفاحٍ

من حلقها فاستيقظت بمعجزةٍ.

وهكذا صارت سنو هوايت عروسَ الأمير.

دُعيَت الملكةُ الشريرة لحفلِ الزفاف،

وصلت بحذاء حديديّ أحمر ساخن،

وبطريقة الزَلاّجات من أحمر ساخن،

تمشي على قدميها بتؤدة.

بدءاً تدخّن أصابع قدميكَ

ثم يسودّ كعباكَ ويحمرّ إلى أعلاك كضفدِع.

أُبلغَت. فظلت ترقص حتى ماتت،

كجسم خفيّ،

لسانها ينقرُ داخلاً خارجاً، كنفّاثة الغاز.

هنا عقدت سنو هوايت محكمةً،

تفتح وتغلق عينَي دُميتها الصينية الزرقاوين

وهي تشير أحياناً إلى المرآة

كما تفعل النساء.

الأمير الضفدع

دكتور فراو، ماما بروندج،

اقطعا الاتصالات وأزيلا شعركما المُستعار.

أكتب لكما. أتسلّى.

لكن الضفادع ترخّ من السماء كالمطر.

تصل الضفادع كروحٍ قبيحة.

أنتم قضاتي. محكمتي.

الضفدعُ قديمٌ كالصرصور.

الضفدعُ دون أعصاب.

الضفدعُ عضو تناسل أبي.

الضفدعُ قبضةُ بابٍ مشوّهةٌ.

الضفدعُ حقيبةُ أخضرٍ ناعمة.

القمر لا يناله. والشمس

تودّ لو تنطفئ أمامه، كمصباحِ نور.

برؤيته، يحمّم الحجر نفسَه في حوضٍ.

ويظنّ الغرابُ أنه تفاحةٌ

فيُسقط دودةً فيه. لدى ملمس ضِفدعٍ

لا أنفجر بملمسهِ كبرقاتٍ كهربيّة.

الوحل يصطاده.

الوحل يسكنهُ منزلاً.

السيد "السُمّ" عند فراشي.

يريد السجقَ مني. يحتاج خبزي.

ماما بروندج، يريد جُعّتي.

يحتاج يسوعي هديةً.

بالضفدع أمراضُ غليانٍ

وبطنه مليءٌ بفطريات.

يقول: قبّليني. قبّليني.

وتسمّد الأرضُ نفسَها.

لمَ ينبغي أن تسير

أميرةٌ فاتنةٌ في حديقتها بهذا الوقت

وترفع كرتَها الذهبيةَ عالياً كفُقّاعةٍ

ثم تُسقطها في البئر؟

ذلك مُقدّر. كما توزع الأقدارُ

طاعوناً ببطاقة حظّ.

كما يحفر الكائنُ الأعلى ثقوباً

بجماجمنا، تنساب فيها سيمفونية بوسطن.

لكني أستطرد. فالخسَارَة حلّت.

وغطست الكرة كقدرٍ من حديد الزهر

في قاع البئر.

قالت: ضاع قمري، عجلي لون الزبد،

عثتي الصفراء، أرنبيَ الهنديَ.

كانت بوضوح أكثر من كرة.

الكرات كهذه لا تباع بمحل "أوبو مارشيه".

بلعتُ القمر، قالت، بين أسناني

وضاع الآن، ضعتُ للأبد.

لصّ ناهبٌ جهاراً.

فجأةً صار البئر كثيفاً يغلي،

فظهر الضفدع.

عيناه منتفختان كحبّتَي فاصوليا

وجسمه مُوثَقٌ بالمكان. لا تخافي،

أميرتي، قال، لستُ صعلوكاً،

ولا فلاّحَ ماشيةٍ، لستُ راعياً،

ولا بواباً، لا ساعي بريدٍ أو كادحاً.

أتيتُك تاجراً. عندي ما أبيعُه.

كُرتُك، قال، مقابلَ ثلاثة أشياء.

دعبني آكل من صحنك،

أشرب من كوبك، وأنام في فرشتك.

فكَّرَت، أيها المترنّح العجوز،

لن أسمح بطلباتكَ الثلاثة، لكن وعدَتهُ

بآمالٍ لقاءَ أن تستعيدَ الكرة.

أحضرها إليها بفمه، ككلبٍ عجوزٍ مخادع

فأخذتها عائدةً للقلعة

وخلَّت الضفدعَ وحدَه.

في المساء وقتَ العشيّة

سمعت طرقاً بباب القلعة، صاح صوت:

يا ابنة الملك الصُغرى،

دعيني أدخل. لقد وعدت، افتحي لي

الآن. خلَيتِ الكرنبَ المرقَّطَ

وسمك الأنكليسَ يعيش معك.

أنصت الملك لوعد ابنته

وأجبرها على الإذعان.

بدايةً جلس الضفدعُ في حجرها.

موحشاً كحانوتيّ. ثم دار إلى صحنها

يتطلّعُ في لحم الخنزير المُقدّد

وكبد العجول. قال مرحاً

سنأكل جنباً لجنب. ارتجفت شَوكَتُها

كماكينةٍ حادة دخلَتها.

جلس على كبد العجول

وشاطرها كخبيرٍ مُتذوّق.

اختنقت الأميرة كمن يُطعم كلباً.

شرب من كوبها.

وليس ذلك مستحباً للصحة.

من كوبها شربت

كمن يجرَعُ "الشيكران"، سمّ سقراط.

بعدها جاء الفراش. فراشٌ ملكيّ حرير.

آه! الساعة قبل الأخيرة!

على الوسادة تتنفّسُ الأميرة

والضفدعُ الأفعوان امتطاها، جنبها.

ضِعتُ في نهرٍ
أبوابهُ محكمة، قال، فاتّخذتُ طريقي
فوق أحجارٍ مبلّلة لأعيش معك.
استيقظت مذعورةً. عانيتُ
من أجل الطيور والفراشات
لا الضفادع، قالت،
ثم ألقت به في الغرفة. كا بوم!

كجنّيَ خارج من المصباح،
نهض الأميرُ الوسيم بركنَ غرفتها الملكية.
عيناه رفيقتان ويداه،
كان رفيق الأسى. وزُوّجت.
قَبلَ التسوية.

استأجر حارساً ليلياً
حتى لا يدخل أحدٌ الغرفةَ،

ثم أقام سوراً على البئر عالياً

فلا تضيعُ الكرةُ ثانيةً،

ولا القمر في شَعرِ "كريشنا"،

أو الجرو الأعمى، ذلك الكون البريء

برحمِ العذراء.

العازف العجيب

هل تذكرن أخواتي

عازفي الكمان في شبابكن؟

الراقصين كسكّير يشعلُ النارَ في بطنه؟

والكلامَ أخرقَ كالأبله،

يثير المحافظين وسائقي العربات؟

أحياناً، أُذن إلى الراديو جنب الفراش،

مُجمّدة على مهدك

كدبوس شَعرٍ مُعوَجّ،

أو رجّة مستقيمة بالريح

على تيار متردد، كسمكةِ شصّ

ترقص رقصةَ الموت،

تذكرن الزنّان، دبّور في الأذن؟

تذكرن الرقص في الأحذية الكهربيّة؟

تذكرن؟ تذكرن الموسيقى

فحاذرن.

تأمّلن

الموسيقارَ العجيبَ

يذهب وحدَه في الغابةِ

على كمانه يعزف "مي رو"

يطلبُ رِفقةً. والثعلب

نوعيةٌ نسويّة، فلسانُه يلعقُ المرآة.

حين ينصت إلى موسيقى

يتقدّمُ راقصاً في حذاءٍ كهربيّ

متمنياً أن يهبَ حياته لتعلَم الموسيقى.

العازفُ استخفّ بالثعلبِ

لكن لم يُصرّح.

افعلْ ما آمركَ به. جاوب الثعلب،

سأطيعكَ، كطالبٍ يُطيعُ سيدَه.

أخذه العازف إلى سنديانٍ

آمرا إياه بوضع مِخلبه الأيسر

في شقّه الخشبيّ. ثبّته بالوتد

حتى صادَه. ظلّ هنالك الثعلبُ

راكعاً مثل روميو.

واصل العازف على كمانه "مي رو"

يطلبُ رِفقةً. الذئبُ، مخلوقٌ جشع،

عيناه بإبريق الحساء،

وحين يسمع موسيقى

يرقص في حذاء كهربيّ.

يتقدّمُ مخدوعاً بالحكاية نفسها.

ربط العازف مخالبه بشجيرة بندق

علّقهُ هناك كنَسرٍ مفرود

بوضعيةِ الصَلب.

واصل العازف على كمانه "مي رو"

يطلبُ رِفقةً. الأرنبُ،

طفل الظلام، ذيلهُ منتفضٌ

على ثَقب السرداب، تقدّمَ مخدوعاً.

بحَبلٍ حول حلقه

ركضَ عشرين مرةً حول ساريةِ النَوّار

حتى أرغَى وأزبدَ ككلبٍ مسعور.

الثعلبُ، ماهرٌ كشهيدٍ
خلّص من على الصليب
والكلبُ المسعور فكّ عقدتهم،
فانجرف ثلاثتهم إلي الغابة
لتمزيق أصابع العازف العجيب
العشرة.

واصل العازف على كمانه "مي رو".
شاف الطائرُ العجوزُ الاضطهادَ
فرقدَ ساكناً كفاتورة دولار.
الثعبانُ، بطنٌ ناعسٌ عجوز،
لم يتقدّم. رقدَ ساكناً كمسطرةٍ.

لكنَ الحطّاب البائس

تقدّمَ مع فأسه، واهباً حياتَه

للموسيقى،

الذئبُ، والثعلبُ، الأرنبُ

انتووا جريمةَ قتلٍ. والحطّابُ

علّق فأسَه. وامضاً كسكّينٍ لحم.

وتنبأ بموتهم. ركضوا عائدين للغابة

والعازف على كمانه "مي رو" من جديدٍ.

أنقذَته مواهبه، مثل كثيرٍ منا.

كالأمهات الصغيرات. وجب أن أقول.

شارلز بوكوفسكي

ابعث لي قنبلةً، قبل غيرك

ولد شارلز بوكوفسكي عام 1920 في ألمانيا، ثم رحل مع أسرته إلى أمريكا في الثالثة. نشأ فقيرا في لوس أنجلس، وظلّ فيها خمسين عاماً حتى وفاته 1994 في الثالثة والسبعين. نشر الشعر في الخامسة والثلاثين، وعاش حياة وحشية كما يكتب. يعتبره النقاد "خرافة عصره، المجنون، الناسك، العاشق، الرقيق، الفاسق، لا يشبه نفسَه مرتين، العنيف، المحروم، الفظيع، المقدس، وأنّى لكَ أن تعود كما كنت بعد قراءته". يُعتبر من جماعة Generation Beat، رغم عدمَ انخراطه مع جاك كيروك وألن جنسبرج (أبرز شعرائها) في أنشطة الجماعة التي صدمت الشعر الأمريكي بإفراطها المُغالي، فقد كان يعبر

عن رفضه بتدمير الأطر الشكلية، لكن لغته من وحي لغة الشارع.

نشر خمسين كتاباً بين شعر ونثر، منها روايات: "مكتب البريد"، "مستخدم لجميع الوظائف"، "هوليود"، "كلام بذيء". يفضّل لقب الكاتب عن الشاعر، رغم أن معظم نتاجه شعرٌ. يقول "حين تصرّحون بأنني شاعر، تضعونني في زمرة النظّامين الحمقى المغفلين". كما ينفر من "شكل الشعر، فيشير "مساهمتي الشعرية أن أفكّ الشعر فأجعله أكثر بساطة ليصبح أشدّ إنسانية؛ أكتب قصيدة كمن يكتب رسالة، فالقصيدة مسلّية أيضاً. ولا حاجة لتصير مقدّسةً على الإطلاق".

من دواوينه: "زهرة، قبضة، عواء وحشي" (1960)، "خطف قلبي في يديه" (1963)، "اعترافات رجل مجنون يهوى العيش مع الحيوانات" (1965)، "قصائد كُتبت قبل القفز من نافذة المحل 8" (1968)، "أحترق بالماء، أغرق بالنار" (1974)، "اعزف على البيانو كآلة نَقرٍ حتى تبدأ الأصابع النزفَ قليلا" (1979)، "موسيقى الماء الساخن" (1983)، "آخر ليالي القصائد الأرضية" (1992).

سؤال وجواب

جلس يشربُ عارياً ذات ليلة

في غرفةٍ صيفيّة، أجرى شَفرةَ السكّين تحت

أظافر أصابعه، مبتسماً يفكّر

فيما تلقّى من رسائلَ تخبرهُ عن طريقةِ حياته

كُتبَ فيها، إن كلّ شيء

عاجزٌ حقاً.

وضع فوق مائدته الشَفرةَ، ثم

ضربها بإصبعه، لفّت بدائرة وامضة

تحت النورِ. فكّر: مَن سيُنقذُني؟

حين كفّت السكّين عن دورانها،

جاءته الإجابةُ: عليك أن تنقذ نفسَك.

ظلّ مبتسماً، أشعل سيجارة،

صبّ شراباً، ولفّ الشَفرةَ من جديد.

لا تكشف حبي

لا تكشف حبّي

فقد تعثُر على مانيكان،

لا تكشف المانيكان

فقد تعثُر على حبّي.

لقد نسيَتني منذ زمان.

تُجرّبُ الآن قبّعةً جديدة،

تبدو فيها أكثر دلالاً.

حبّي طفلةٌ ومانيكان وموت.

لا تمنحني كراهيةً،

ولا تفعل ما هو خارقٌ.

وهذا عينُ ما أريده.

الوحيد

هناك أشياءُ أكثر سوءاً
من أن تكون وحيداً،
لكنك تُمضي عشرات السنين
لتُدرك ذلك، وحين تفعل
يكون الوقتُ قد تأخّر غالباً،
وليس هناك أكثر سوءاً
أن يتأخّر الوقتُ.

النصر قريب، النصر هناك

قضى عليّ الوقتُ.

أحسّ كأنني قواتُ ألمانية

يهزمها جليدٌ بينما الشيوعيون

ينحنون في سيرهم

بأحذيةٍ باليةٍ محشوّةٍ بجرائد.

مأزقي فظيعٌ كهذا. ربما أسوأ.

النصر قريب، النصر هناك.

تجلس أمام مرآتي

أصغر وأكثر جمالاً من أيها امرأةٍ عرفتُها،

وكنتُ أرقُبها

تمشّط ياردات من شعرها الأحمر.

أحدَ عشرَ شهراً.

راحت الآن، كما راحوا.

قضى عليّ الوقتُ.

طريقٌ طويلٌ إلى العودة، والعودة إلى أين؟

هل تفعل مثلي؟

قصائد جيدة

يستغرق الأمرُ كثيراً من اليأس،

اللاطمأنينة، وخيبة الأمل،

أن نسطّرَ

عدداً قليلاً من القصائد الجيدة.

لا يُتاح هذا لأيّ امرئ

يكتب هكذا، يقرأ هكذا.

40.000 ذبابة

تمزّقنا رياحٌ حاضرة

فنعود ثانيةً، نفحصُ الحوائطَ والأسقفَ

بالتشقّقاتِ والعناكب الخالدة،

نتساءل هل هناك

امرأةٌ أخرى زيادة. والآن

تطير 40.000 ذبابة

على أذرعِ روحي، وهي "تغرّد"

(عثرتُ على طفلٍ بمليون دولار

في محلّ كلّه بخمسة وعشرة سنتات)

أذرع روحي؟ الذباب؟ "يغرد"؟

ما هذا الهراء؟

يسهُلُ أن تصبح شاعراً

يصعُبُ أن تصير إنساناً.

قنبلةٌ ذريّة صغيرة

آه، امنحوني قنبلةً ذريّةً صغيرة
لا كبيرة، مجرّد قنبلةٍ صغيرة
تكفي لقتل جواد بالشارع
مع أنه لا يوجد أيّ جيادٍ بالشارع.
آه، تكفي لقلب أزهارٍ من مزهرية
مع أني لا أرى أيّة أزهار بمزهرية.
تكفي إذن لتخويف حبّي
مع أني ليس عندي حبيب.
إذن، امنحوني قنبلةً ذريّةً صغيرة
أخدش بها حوضَ حمّامي
(عندي حوضُ حمامٍ بديع)
كطفلٍ مشاغبٍ محبوب.
مجرّد قنبلةٍ ذريّةٍ صغيرة،
بأنفٍ أفطس وأذنين قرنفليتين

نشمّ رائحتَها كملابسنا الداخلية في يوليو،

هل تظنّ أني معتوه؟

أظنّ أنكَ معتوهٌ، أيضاً

بمثل هذا فلتفكّر:

ابعث لي قنبلةً قبل غيركَ.

الفن

حين

تنحسرُ

الروحُ

تكشفُ

بُنيتَها.

أدريان ريتش

حلم، كسلكٍ في حريق

ولدت أدريان ريتش عام 1929، في بلتيمور بولاية ميريلاند، وتخرجت في كلية رادكليف 1951. صدر ديوانها الأول "تبدلات عالم" (1951). عاشت في كيمبردج بولاية ماساشوسيتس ثلاث عشرة سنة، ثم سافرت إلى هولندا لتعلّم لغتها حتى تترجم الشعر الهولنديّ. انتقلت إلى نيويورك 1966 للتدريس بمعامل الشعر في جامعة كولومبيا. نالت 1974 جائزة الشعر القومية عن ديوانها "أغرق في حُطام". وتُعتبر أدريان ريتش أفضل شاعرات أمريكا قاطبةً، فهي تدخل بالشعر عوالم لم يسبق لأحد ارتيادها بمثل هذه التقنيات العالية في مجاز الحداثة الشعريّ. تعتبر أيضاً من رائدات الحركة النسوية في مجال الشعر وممن يكتبون بليغاً عن أساسيات الحركة.

أغنية

تستغرب أني وحيدة:

نعم، أنا وحيدة

كطائرةٍ تركب على ارتفاعٍ وحيدة

شعاعاً غير مرئيّ، عبر جبال روكي،

فتقصد ممراتٍ مشغولةً بالأزرق

لمطارٍ على محيط.

تريد سؤالي، أنا وحيدة؟

طبعاً، بالطبع، وحيدة

كامرأةٍ في طريقها للريفِ

يوماً بعد يوم، تُخلف وراءَها

ميلاً بعد ميل

مدناً صغيرةً تقف عندها

تعيش وتموت فيها، وحيدة

إن كنتُ وحيدة

فلابد هي الوحدة

أن أستيقظَ أولاً، أتنفَسَ

أول نسمةٍ رطبةٍ من فجرِ المدينة

وأنا اليقظانة

في بيتٍ لفَه النومُ، وحيدة

إن كنتُ وحيدة

فذلك مع زورق جرفه ثلجٌ إلى الشاطئ

عند آخر أنوار العام الحمراء

التي تعلم القصدَ، تعلم أنه

لا الثلج لا الطين لا نور الشتاء

بل خشبٌ، في هَبَةِ احتراق.

أغسطس

جوادان في نورٍ أصفر
يأكلان تفاحاتٍ طرحِ الريحِ تحت شجرة

كصيفٍ يمزّق نبتةَ "حشيش اللبن"
وهي تترنّح، فيبدو العشبُ أكثر شَعثاً

يقولون هناك أيوناتٌ بالشمسِ
تعادلُ الحقولَ المُمغنطةَ على الأرضِ.

بطريقةٍ معينةٍ أشرح
ماذا يعنيني الأسبوعُ، والأسبوعُ الذي سبقَه!

لو تشمّستُ كلحمٍ على صخرة
لو احترقتُ كمخٍ على نور النيون

لو أنني حلمٌ كسلكٍ في حريق

لكنتُ أخفقُ عبره

لو أنني موتٌ لإنسان

لكنتُ عرفتُ

أن عقلهُ بسيطٌ جداً، ولن أستطيع

أن أشاركه كوابيسه

فعقلي أصفَى، ومفتوحٌ

على ما قبل التاريخ

مثل قريةٍ تُضاءُ بالدمِ

يصرخُ فيها الآباءُ جميعاً: ابني أنا!

بعد عشرين عاماً

امرأتان جنب نافذة إلى مائدة.
ينفجر على اثنتيهما نورٌ متفاوت.
كلامهما ضربٌ من الومضِ
يلحظهُ عابرون بالشارع
كانعكاسٍ على زجاجٍ هذه النافذة.
امرأتان في مُقتبلِ العمر.
صغراهما كبيرة حتى ليمكنها حملَ صغار.
والوحدة جزءٌ من حكايتهما طيلة عشرين عاماً،
الطرفُ المظلم من لهجتهما الماهرة،
الجانبُ السفليّ الغامض من الخيال.
ثلجٌ ورعدٌ بالطريق.
حين تتحدّثان يومض البرق أرجوانياً.
غريب وجود نسوة كثيرات،

يأكلن ويشربن على المائدة نفسها،

وهناك من يحمّمن أولادهن بالحوض نفسه

يحجبن أسرارهنّ عن بعضهن الآخر

يسرن على أرضيّات حياتهن في غرف منفصلة

مندفعات إلى التاريخ بينما امرأة زمانهن

تعيش في مقتبل الحياة

مثل مدينة لا شيءَ فيها ممنوعٌ

ولا شيءَ دائم.

حياةٌ في الخطيئة

ظنّت الاستديو سيُعنَى بنفسه،
لا ذرةَ غبارٍ على أثاثِ الحبّ.
كنصفِ بِدعة، تتمنّى السداداتِ أقلّ ضجةً،
وتفرجُ القوائم عن السُخام. صحنٌ كُمثرى،
بيانو مع شالٍ فارسيّ، قطةٌ
تطارد خلسةً فأراً سعيداً فاتناً
ينهض مستعجلاً.
لا يتلوّى عند كلّ سُلّمةٍ منفصلة
تحت فخّ بائع الحليب؛ نور الصبح
بارداً سيُخطّط لبقايا الجُبنِ
المتخلّف عن الليلة الفائتة وثلاث زجاجات كئيبة؛
برفّ المطبخِ وسطَ صحونِ الفناجين
عينا خنفسٍ يلصقُ نفسه.

مندوباً عن قريةٍ في قوالب حلوى . . .

في هذه الأثناء، كان يتثاءب،

اثنتا عشرة نوتة فوق لوحة المفاتيح،

بدأتها دون نغمٍ، فاستهجن بالمرآة غيرَ مبالٍ،

حكّ لحيتَه وخرج ليشتري سجائرَ؛

بينما توبّخها شياطينُ قاصرةٌ،

تنزعُ الملاءاتِ وتسوّي الفراشَ فتعثُر بمنشفةٍ

تنفّض بها غبارَ رأسِ المائدة،

وتدعُ إبريقَ القهوةِ يغلي على الموقد.

بحلول المساء تعود للغرامِ من جديد،

رغم أنه لم يتكامل فكانت تصحو أحياناً

عبر الليلِ تحسّ نورَ النهارِ قادماً

كبائع حليبٍ عديم الشفقةِ يرقى السلالم.

ذكاء صناعيّ

عبر رقعةِ شطرنج الآن،

يبيحُ تكلّفك فحصاً أخيراً: راحات؛ تأمّلات.

لا. كان يفرز ملفات الذكريات، بينما أنا/

يذعنُ للنصرِ، ينحني،

يتدلّى وسط مؤسساتي المجانية.

ليس عندكَ أمّ، فلنقل.

لا جرترود[1] رقمية،

كنت تملكُها كمحبوبٍ رأى ملكةً

مخلوعةً. فملكتكَ البيضاء مجرد "محرّك".

(لوني الأحمر حراريّ متوهّج،

1- جرترود شتاين (1874/1946)، كاتبة أمريكية، تميز أسلوبها بنمط التكرار وإيغال التبسيط. (م)

حنقٌ، نسمَةٌ، سطوع،
أوقعني لحظاتٍ في شَرَك بتحديقه).
أعبسُ بوضوحٍ، على النمطِ القديم
لفاقدٍ بشريّ. لمَ لا
نُسقط الزمجرةَ المدخّنةَ كلها
فتُسدّد دَينيَ مرةً واحدةً لا كلّ مرة؟
(المُعامل الماديّ: محطّمو الآلات[1] سودُ الوجوه
يخيطون مُتعَ التخريب).
حين تُسطّر قصائدكَ فيما بعد
فمَن سيحسُدكَ على غذاء القوّة
من طبعاتِ مساعينا المُحقّقة البدائية،
حصصٌ لغويّة كلهجات هنودٍ حمرٍ مُجمّدَة
تحشو دماغك؟ أنكرتَ
رفاهيةَ الغشيانِ، لا
تنسى أيّ شيء، فلا أحلامَ عندك.

1- محطمو الآلات: جماعة ظهرت أول القرن التاسع عشر، ظنوا الآلات ستعدم العمال فرص الحياة. (م)

أشعار هنودٍ حُمر

ذئاب الوحشة

هناك جروح صفيقة وندوب مؤلمة تعمد إلى تشكيل اللحم والعقل والروح، ومن فئة الشعراء المجهولين عبر العالم هنود أمريكا الحمر، حاول بعضهم تضميد هذه الجروح وتلك الندوب لدرجة الشفافية فجعلوها تثقب العين التي لا ترى إلا دماً لا يقوم. خُلق هذا النشيد البسيط لتنفجر منه موسيقى مبهجة شديدة الغنائية، مجرد تسبيح لمجرى الألم، لكنه الألم غالب.

يخوض شعراء الهنود الحمر، في هذه القصائد التي اخترتها من "جروح تحت اللحم" (هوايت باين برس، 1987)، عالم الطبيعة بعين المخالف، ويفهمونها بصمام المبدع الأمين العارف أن الكائنات جميعاً ذات نسبٍ واحد ومن ضرع واحد قديم هبط من السماء لتدفئة الأرض، والأرض ـ أمنا ـ لحم لحمنا، لا تنسَى أو تتناسى المسيء والمحسن معاً، سواء لديها ألق الحب أو عنف الشحناء، طراوة الميلاد أو جفاف الموت،

ندى الأمل أو مرارة اليأس. إن نشيد هؤلاء الشعراء يغنّي للأرض، غناءً يتجدّد كالعنقاء فيجعل إحساسنا بالمكان عميقاً لدرجة الجروح وصفة الندوب، لكن دون جرح حقيقيّ أو ندبة صريحة.

النسبية

شعر: بيتر بلو كلود

"كويوت، ألا تفهم النسبية؟"

"أفهمها، بلى. فهي أبسط من هذا.

حين أجوع أقف لدى محلٍ فوراً

فألتهم وجبة. بلى،

وأعرف أن الكائنات جميعاً ذات أنساب".

عادات جوج

شعر: ديان بيرنز

هياكلِ فئرانٍ صغيرة

مُعلّقةٌ من شجرةٍ تنغرس بأذيالها

فيُصاصلُ عظمُها واهناً

هادئةً كلٌّ جنب أخرى،

وهي تنحني لنسيمِ الربيع.

جوج في العادة

يقتني مظلاّتٍ لون الفضة

ولديه قائم مانيكان من مانهاتن، الآن

يرتاح في كرسيَ قشٍّ أخضرَ

يرقُب العظام الرماديّة البائدةَ من شجرته

تترنّح وهي تتعفّنُ

موتاً.

يحفظُ قطعةَ جُبنٍ أمامه،

يصحو أحياناً ليغرسَ

فأرةً أخرى إلى الشجرة.

ابن بيتا

شعر: ديان بيرنز

كان صديق من زيمبابوي

يقول: "يبدو كجزيرةٍ طويلة

عدا أن تراهُ كلّ لحظةٍ

مثل وحيد القرن".

وادٍ لرجلٍ هزيل

شعر: ليزلي مورمون سلكو

من 700 عام عاش الناسُ هنا

وجرى الماءُ ناعماً، فالشمسُ

كانت دافئة على زَهرِ اليقطين.

من 700 عام،

في عمقِ هذا الوادي

كان حجرُ الرملِ مرتفعاً

فوق صخرٍ، والسكونُ

سماءً عريضة بماء دافقٍ

بينما الصفصافُ في الريحِ هفهافٌ

مدة 700 عام.

تواترت حوافرُ الجِيادِ

في عزمٍ ترمح على رمالٍ بيضاء

كانت عميقة. وحيث آتي

شذىً، دفءٌ، سكينة.

سماءٌ زرقاءُ، وغيمٌ ماطرٌ من بعيد.

ركبنا معاً عبر جُرفٍ

هَوَى بالأغاني والحكايات

التي رُسِمَت فوق صخرٍ

من 700 عام.

رقصةُ أطياف

شعر: ديون نياتم

ينتابك النومُ وأنت يقظانُ

شأن جناحٍ انهارَ ليلاً،

عميقاً تحتَ موجٍ

تحالف فيه المحارُ مع سمكِ القرش،

فيوضٌ دون أحلامٍ

براحةِ يدهِ السوداء.

عودةُ البراءة

شعر: روكوواو

ترتفع النجومُ صباحاً

يحتَ منها الومضُ، فترة بينَ بين

فتنحدرُ بزحّافاتها لِهباً

يغتسل من حماقات ليلٍ بالعويل،

براءةٌ عادت إلى بيتها

من فَضلِ نورٍ لندركَ أسرارَها.

ابنُ النجوم وُلِدَ

حلمٌ إلى حلمٍ مع نجم النجومِ

الحلمُ قبضٌ على قبضٍ

سرمديّ في الطريق تجسّدَ...

عالمٌ من عالم الأحلام

نحلُم به فترةَ البين بين،

والأحلامُ للحالم.

نشيد الساذَج المسافر

شعر: روكو واو

احلمُ/ لا أزال/ بغابةٍ

من السحرِ/ في يومٍ/

ماطرٍ/ كثيفٍ، / جثمَ النَسرُ

دون وصولٍ/ إلى أرضٍ/

بها بشرٌ/ أو رعدٌ، / أتذوّقُ

لا أزال/ سديماً/ عاطراً

في الظُهرِ/ والحسّ/

بلا شيء/ من خواصّي، /

أريدُ/ أداءً/ كتغريدِ

طير الدُّج/ الناسك/

حين يزورُ/ مثلي/ السماءَ،

أنا/

الحمامُ/ المسافر.

نجمُ الكاهن الراقص

شعر: روكو واو

أحلمُ بمكانٍ أحياناً
أهمسُ فيه مع الريحِ
وأُضحكُ الماءَ...

أحلمُ بمشهدٍ أحياناً
أجلس فيه بجَرفِ قمرٍ عال
بين دبٍّ وسلحفاة
كُسوتي فروةُ الذئبِ مثل كاهنٍ،
ونَجمي مُكبّلٌ بجلودٍ ومحار...

معصماي منعقدان على صدري

وبكلّ يدٍ ريشةٌ من جناح النَسر،

أحلم بمنظرٍ أحياناً

أبزغُ فيه بجُرفِ قمرٍ عال،

جناحا الرجل/ النَسرِ

يصطادان أولَ أنفاسِ نَجمٍ

يكتسي بالريح...

نَجمُ الكاهنِ الراقص

يدور واثباً خلفَ القمر...

أحلمُ بنشيدٍ أحياناً

أهمسُ فيه مع الريحِ

وأُضحكُ الماءَ.

سان دييجو، شرقا

شعر: سيمون جا أورتيز

قلت لسائق الباص

"الزم التلال، وتحاشَ أمريكا

قدر الممكن.

فأنا هاربٌ

بأحلامِ طيشٍ، ولا أمل عندي

في شيءٍ

من جنوب كاليفورنيا"،

لكنه لم يسمع.

برد

شعر، لانس هنسون

ماذا تبقّى من الصيفِ،
خبيئةُ ذكرياتٍ
وصيحاتُ ظافرٍ، ميراثُنا
من ظلّهم نائمين،

لنصفح عن الانتهاكات، ونجلس
على جبالِ البردِ
بين ذئابِ الوَحشة.

أميري بركة

لا نريد سوى الشمس

يعتبر "إيفرت لوروي جونز" عرّاب حركة "الآداب السوداء" في أمريكا، التي كان لها دورٌ بارزٌ في تطوير مراكز الزنوج الثقافية فترة الستينيات. شاعرٌ ومسرحيّ وروائيّ زنجي أمريكيّ، اكتشف جذور الغضب بين أفارقة الأمريكان، وكانت كتاباته سلاحاً دائماً ضدّ العنصرية ومع الاشتراكية العلمية. اعتنق الإسلام 1968 تحت اسم "إمامو أميري بركة"، ومن أقواله "يجب القضاء على الرجل الأبيض، حتى نتنفس بحرية في هذا الكوكب".

ولد بركة 1934، وبدأ حرفة الكتابة بقرية جرين ووتش، وكان فقيراً بطفولته، حيث عانت عائلته من التمييز العنصريّ والعنف المتطرف. يعيش الآن في

نيوجرسي. ويمثل "بركة" نوعاً من التحوّل العقليّ لتأثير الإيديولوجيا فقد أطلق التمرد بأقصى صوره حين كان ماركسياً بالسبعينيات. يعتمد شعره على ثقافة غربيّة مخلوطة بجماليات زنجية، وكتاباته تتراوح بين الزنوجة والأمركة. تخرج في جامعة هوارد قسم الفلسفة، وانضم لجماعة Beat Generation فترة وجيزة. من دواوينه: "مقدمة الجزء العشرين من كراسة الانتحار"، "الحاضر الميت"، "وقت الأمة"، "مناولة الروح"، "حقائق عصيبة"، "أنا/ نمطيّ"، "أفكار لك"، "قارئ أميري بركة"، "تأبينات"، وغيرها.

أصدر روايتين: "منظومة جحيم دانتي" و"حكايات"، ومسرحيات: "الهولنديّ"، "المعمودية"، "العبد"، "الحمّام"، "خير الحياة عميم"، "ربيع أسود"، "وفاة مالكوم إكس"، "خرافة"، "حركيّة التاريخ"، "طرزان في التصفية"، "عالم بدائي". أسس مسرح "الفنون السوداء" في هارلم 1965، و"اللجنة السوداء" 1968 وهي جماعة إسلامية تركز على الثقافة السوداء لمعونة أفارقة الأمريكان على كسب المزيد من قوتهم السياسية.

يحاضر "بركة" بأكبر جامعات أمريكا. هاجم إسرائيل مرةً فاتهمته بمعاداة السامية وطالبته باعتذار، فردّ "اليهوديّة شيء وإسرائيل شيء آخر، وعبثاً تلجؤون إلى حماية الدين اليهوديّ كلما تتعرض إسرائيل للهجوم".

يوسف إلى إخوته

يشخَصون حياتهم، وأنا
أُشبع حياتي. أُشبعها
بما عندي، ما أراهُ وأحتاجُه.
لا هدف لديّ، فالعميان
يُعجزهم عشقُ الجمالِ الهادئ.

الفلاسفة يدمِّرون مركبهم،
يجلبون هِداياهم وأسلحتهم
عند بابي. وهذا بحدّ ذاته
شجاعةٌ، أو تَحَسّبٌ علميّ.

حكايةٌ طويلة. فكيف أكونُ
هكذا. لمَ أُنصتُ الآنَ
وقد تأخّر الوقتُ،

مُنهَكٌ أنا بالليل، والمطرُ
ثقيل، يدفع العشبَ لينعسَ.

هنا، بالمكان، تكبرُ
هنا إجاباتٌ، أسئلةٌ، وضوضاءُ
جامدةٌ كالصمت. فضةٌ هادئة
تهزمُ الثقلَ تحت المطر.
فنذكُر القليلَ. قليلةٌ
حصصُ حياتنا، لكن نواصل.

دين جديد

نعبدُ فينا القوّةَ

نعبدُ أنفسنا

نعبدُ فينا النورَ

نعبدُ فينا الدفءَ

نعبدُ العالمَ

نعبدُ فينا الحبّ

نعبدُ أنفسنا

نعبدُ الطبيعةَ

نعبدُ أنفسنا

نعبد فينا الحياةَ، العلمَ المعرفةَ التحولات،

بين العالم المرئيّ.

مقدمة الجزء العشرين

من كراسة الانتحار

اعتدتُ مؤخراً الطريقةَ التي
تنفتحُ بها الأرضِ لتبتلعني
كلّ مرةٍ أخرجُ فيها مع الكلب،
أو أظفر بموسيقى سخيفة قاعدتها عريضة
وأنا أجري إلى الباص...

هكذا الأشياء.

والآن، أعدّ النجوم كلّ ليلة،
رغم أن الرقم نفسَه كلّ ليلةٍ.
وحين تعصَى على العدّ،
أعدّ الثقوب التي تُخلّفها.

لم يعد أحدٌ يغني.

سرتُ الليلة السالفةَ

على أطرافِ أصابعي نحو

غرفة ابنتي وتنصتّ

كانت تكلّم أحدهم، ففتحتُ البابَ

لكن لم أجد أحداً...

كانت على رُكبتيها، تنظر إلى

يديها المضمومتين.

وفاة ماما

لو عرفتُ أمّي وهي تجلس
ناظرةً حزينةً عبر المُخيّم آخر العشرينيات
إلى مستقبلِ الروح، على رأسها تتواتر
ملائكةٌ سوداءُ تحمل حياةَ أسلافنا،
ومعرفةٌ وحسٌّ أشدّ زنوجةً. تجلس
(على هيئةِ كتابٍ سنويّ) تُنصت
إلى أغانٍ سوداءَ جديدة، من النوعيّة القديمة،
تنسابُ عليها رحلاتٌ وعواطف
من تلقاء نفسها. فتُنيمُني
مغناطيسياً، من زمانٍ بعيد، بفُضليات
معرفةٍ مرّت إليها فمرّت
إليّ ومن ثمّ إلى سُود عصرنا.
وحين أموتُ، فما أحمل من ضمير
يخصّ حُشاشَ قلبِ السود. لربما أخذوني بعيداً

لنيلِ جزءٍ مفيد من لحمٍ مشاعري لذيذِ الطعم،

مُخلّفين الأجزاءَ البيضاءَ العفنة

شديدةَ المرارة

وحدَها.

كعبة

نافذة مُحكَمةٌ تُشرف على
فناءٍ مُتربٍ، وشعبُ السودِ
يرفع عقيرَته أو يبكي أو يسير
متحدّياً طبيعتَه بنهرِ عزيمته.

عالمنا مليء بأصواتٍ
عالمنا أجمل من عوالم آخرينَ
مع ذلك نُعاني، نقتلُ بعضنا البعض
ونفشل أحياناً في الانطلاقِ عبر الهواء.

نحن شعبٌ جميل
بهجراتٍ إفريقية
نمتلئ بأقنعةٍ ورقصاتٍ وترانيمَ مُتخمَةٍ
بأعينٍ إفريقية، أنوفٍ، وأذرعٍ

مع ذلك ننشد ترانيمَ رماديةً في مكانٍ
تفعمهُ مواسمُ شتويّة،
فلا نريد سوى الشمس.

مأسورين، نجهدُ في فتحِ أبوابنا
على صورٍ عتيقة، فننسجمُ
جديداً مع أنفسنا
وعائلاتنا السود. نحتاجُ للسحرِ
نحتاجُ للرُّقى، لنربّي
عودتَنا، ندمّر، ونبتدع. ما سيكونُ
كلمةً قدسية.

مكافأة الحيوان

وقت أن كانت الآنسة ديزي

تموتُ على فراشها

أخبرت مورجان فريمان

أنه "صديقها المفضَل"،

وماذا عن الكلب؟

معرفةٌ جبانة

نحن الزنوجَ، نحن أنفسنا،
لونُنا المفضّل،
نصفٌ هنا، ونصفٌ راح

نحن الزنوجَ، نحن أنفسنا،
عبقرياتٌ فعليّة، أصلُ الوجود،
أول القوقازيين

ذلك السبب أننا الزنوجُ
نحن أنفسنا، ذلك السبب
أننا أغنيةٌ فعلية

معتمةٌ تراجيدية عتيقة
سحريةٌ، السبب أننا الزنوجُ

نحن أنفسنا

نحن قبائلَ الاثنتي عشرة
حانة، خطوطُ الاستعباد
على علمٍ فوق جِلدنا

نحن الزنوجَ، ماضٍ راح
طاقةٌ، بردٌ، أسنانُ منشارِ
الحرارة، رائحةٌ من فوق
تسحب الريحَ عبر الشجر،

نحن الزنوجَ يتركوننا
سُوداً، كالأرضِ والشمس،
نحن اختفاءٌ بطيء، نارٌ
تندفع لتصبح في قلوبنا
نحن الزنوجَ من جديدٍ الآن
نحن الليلَ كلّه، بعيونٍ برّاقة

تحدّق أسفلها، نفّاثاتٌ
تدفع المساءَ ليصعدَ،

ذلك السبب أننا الزنوجُ
صَفّاراتُ قطارٍ، دمدمةٌ
للقادمين غير المنظورين
طبلٌ وصراخ،

ذلك السبب أننا الزنوجُ
نعمل، نغني، نرحلُ
بحكاياتٍ وروحٍ
ذلك السبب أننا الزنوجُ
سودٌ وأحياءُ، نُبدي حركتنا
تنفّسنا، قمرٌ يعكسُ روحَه
ذلك السبب أن روحَنا
تصنعُنا، نحن الزنوجَ
نحن أنفسنا، زنوجٌ.

فنٌ أسود

القصائد هراءٌ إن لم تكن
أسناناً أو أشجاراً أو ليموناً مُكدّساً
على درَجٍ. أو سيداتٍ سوداً يمتن
بعد رجالٍ يتركون قلوباً من نيكلٍ
تهزمهن. القصائد بذيئة
لكن مفيدة، تطلقُ النارَ
عليكَ، فاعشقْ ما تريد،
تنفَسْ كالمصارعين، أو ارتجف
بغرابةٍ بعد بولٍ. نريدُ كلماتٍ
حيةً عن العالمِ الخلفيِّ كلحمٍ حيٍّ
ودمٍ مُطارَد. كقلوبِ عقولٍ
أرواحٍ تشقّ النارَ. نريدُ قصائدَ
كالقبضاتِ تهزمُ الزنوجَ بعيداً عن الفرسان
أو قصائدَ خناجرَ في بطونٍ نحيلة

للمالكين اليهود. قصائدَ سوداء

تكسو أحزمة الخلاسياتِ العاهرات

بعقولٍ حمراءَ يقتدين

أصابع أقدام اليزابيث تايلور. عاهرات

عفنات. نريد "قصائدَ قتلٍ".

قصائدَ قتَلَة، قصائدَ تطلق

بنادقَ. قصائدَ تصرعُ الشرطةَ بالحواري

وتغصبُ أسلحتَهم فتترُكَهم موتى

بألسنة مدلاّة. قصائدَ

غالبةً لُمدمنينَ يبيعون توافهَ أو قصائدَ

طائرةً للسياسيين الماكرين نصفِ البيض، رررررر

رررررر... توتوتوتوتوتو

... رررررر... أعدّوا النارَ والموتَ

لمؤخّراتِ البيض. انظروا إلى المتحدّث

الليبراليَ يقبضُ حلقَه

فيتقيّأ نفسَه في الأبديّة... رررر

هناك زعيمٌ زنجيَ مثبّت

بكرسيّ حانةٍ وكرتا عينيه ذائبتان

في نارٍ حارّة، زعيمٌ زنجيّ آخر

على دَرَجِ بيتٍ أبيض، وواحد

راكعٌ بين فخذَي العمدة

يفاوض في برودٍ من أجل شعبه.

آجاآجا... زلاّت عبر الغرفة...

ضَعيه فوقَه، يا قصيدةُ. عرّيه

أمام العالم. نريد قصيدةً رديئةً تُشقّق

أسناناً مُطعّمةً في فم امرأةٍ يهودية

قصيدةُ صرخةً سُمّ غازٍ على ثديين

في بيريهٍ أخضر

تُنظّف العالمَ للفضيلةِ والحبّ،

لا تكتبوا قصائدَ حبّ هناك

حتى يوجَدَ حبٌ حرّ

نظيف. فليفهم شعبُ السودِ

أنهم العشاقُ وأبناءُ العشاقِ

المحاربون وأبناءُ المحاربين

أنهم القصائدُ والشعراءُ

وكل جمالٍ في هذا العالم.

نحتاجُ قصيدةً سوداءَ. و

عالماً أسودَ.

فليكن العالمُ قصيدةً سوداءَ

وليعلن شعبُ السود جميعاً

هذه القصيدةَ،

في صمتٍ أو بصخب.

ألن جنسبرج

أمريكا

ألن جنسبرج: شاعر أمريكي طليعي، ولد في نيو جرسي 1962، وهو مؤسس حركة "Beat Generation" مع عدد من أهم الأصوات الشعرية الأمريكية. بدأت الحركة بنشر قصيدته "عواء" 1956، واعتُبرت نشيدَها الشعريّ. وقد أصبح جنسبرج المرشدَ الروحيّ للثقافات التحررية المضادة فترة الستينيات كلها. قال عنه النقاد "اقتنص جنسبرج المتعة الحسيّة التي كان يتميز بها شعر "والت ويتمان"، لكن بروح القرن العشرين" توفي 1997.

أمريكا

أمريكا وهبتكِ كلّ شيء والآنَ لا شيءَ عندي.

أمريكا 2 دولار و27 سنتاً 17 يناير 1956.

لا أتحمّلُ عقلي.

أمريكا متى تنتهين من حروبِ البشر؟

ضاجعي نفسكِ بقنبلتكِ الذريّة.

لا أحسّ الطمأنينةَ لا تزعجيني.

لن أُسطّرَ قصيدتي حتى ينالَ عقلي عافيتَه.

أمريكا متى تصبحين ملائكية؟

متى تخلعين عنكِ ثيابَكِ؟

متى تنظرين لنفسكِ من منظورِ قبرٍ؟

متى تستحقين مليون تروتسكي[1] فيك؟

1- مشايعو الزعيم الروسي "تروتسكي" (1879 ـ 1940)، الذي اغتاله ستالين بالمكسيك. (م)

أمريكا لماذا تمتلئ مكتباتك بالدموع؟

أمريكا متى تُرسلين بيضك للهند؟

لقد سئمتُ طلباتك المجنونة.

متى أذهب إلى السوبر ماركت فأشتري ما أحتاجُ بنظراتي الوجيهة؟

أمريكا بعد كلّ شيءٍ أنتِ وأنا الكاملان لا العالم القادم.

مَيكنتك كثيرٌ عليّ.

جعلتني راغباً أن أكون قديساً.

أما من طريقة أخرى لتسوية هذه المسألة.

بوروز [1] في طَنجةَ لا أظنه سيعودُ فهو منحوسٌ.

أأنتِ منحوسةٌ أم هو شكلُ فكاهةٍ عمليّة؟

أسعى للوصولِ إلى الفحوى.

رافضاً التخلّي عن هواجسي.

أمريكا كُفّي عن التواقحِ أعرفُ ما أنا فاعلُه.

أمريكا زهرُ البرقوقِ يتساقط.

1- يقصد صديقه في جماعته الشعرية، وليم بوروز، الروائيِ الأمريكي، صاحب "شاذ"، و"مدمن"، وغيرها. (م)

لم أقرأ صحفاً منذ أشهرٍ، هناك من يُحاكَم يومياً بجريمةِ قتلٍ.

أمريكا أحسّ عاطفةً تجاهَ عمّال العالم.

أمريكا كنتُ شيوعياً وأنا صغيرٌ لستُ آسفاً.

أدخّن ماريجوانا كلّ فرصةٍ تسنحُ لي.

أجلسُ في بيتي أياماً دون انقطاعٍ مُحدّقاً في وردِ حمّامي.

أذهب إلى شيناتاون فأعودَ سكران غير أني لا أهجَع.

عقلي يقرّرُ أن يضطرب.

قد رأيتِني أقرأ ماركس.

يظنّ معالجي النفسيّ أنّي مُعافىً.

لن أردّد صلاةَ لربٍّ.

فعندي رؤىً صوفيةٌ وإشعاعاتٌ كونية.

أميركا لن أخبركِ عما فعلتِ بالعم ماكس بعد عودتهِ من روسيا.

إني أخاطبكِ.

هل ستُديرين حياتكِ العاطفيةَ باستشارةِ مجلة تايم؟

استحوذَت عليّ مجلة تايم.

أقرأها كلّ أسبوع.

يُحدِقُ بيَ غلافُها كلّ مرةٍ أنسلّ فيها أمام ركن بائع الآيس كريم.

أقرأها في بدروم مكتبة بيركلي العامة.

تحكي لي دوماً عن المسؤولية.

رجال الأعمال جادون. منتجو الأفلام جادون. الجميع جادون عداي أنا.

خطر لي أني أنا أمريكا.

فأنا أكلّم نفسي ثانيةً.

تنهضُ آسيا أمامي.

ليست عندي فرصةُ رجلٍ صينيّ.

الأفضل أن أتأمّلَ مواردي القوميةَ.

تتألّف مواردي القومية من وصلَتَي ماريجوانا، ملايين من أعضاء التناسل، آداب خاصة غير منشورة، طائرات نفاثة سرعة 1400 ميل بالساعة، خمسة وعشرين ألف مصحّة عقلية.

لن أحكي عن سجوني

أو ملايين المُعدَمين القاطنين مزهريات تحت نور خمسمائة شمس.

أبطلتُ مواخيرَ الدعارة في فرنسا، وطنجةُ هدفي القادم.

طموحي أن أكون رئيساً رغم أني كاثوليكيّ في الواقع.

أميكا كيف أكتبُ ابتهالاً قدسياً عن طبعكِ السخيف؟

أواصل مثل هنري فورد

مقطوعاتي الشعريَة شخصيةٌ كسياراتهِ أكثرَ من كونها جميعاً ذات أجناسٍ مختلفة.

أمريكا سأبيع مقطوعاتي الشعرية، 2500 دولار للمقطوعة

وبتخفيض 500 دولار للمقطوعات القديمة

أمريكا توم موني الحرّ

أمريكا تدّخر الموالين لإسبانيا

أمريكا ساكو وفنزيتّي[1] لن يموتا

أمريكا أنا الأولاد المنحدرين من اسكتلندا.

1- نيقولا ساكو (18891 ـ 1927)، وبارتلميو فنزيتي (1888 ـ 1927)، من جماعة الفوضويين. (م)

أمريكا سبعُ أمهات أخذنني لاجتماعات خليّةٍ شيوعية ابتعن لنا فاصوليا ملء كفٍّ لكلّ تذكرة، تكلّف التذكرة نكلةً والرسائلُ مجانيةٌ، الكلّ ملائكيّ وعاطفيّ نحو العمالِ، شيءٌ صادق أنك لا تعرفين أن الاحتفالَ جيدٌ عام 1935، كان سكوت ريدنج جدّاً عجوزاً، الأمّ بلّور مجيدةٌ حقاً، وقد جعلني المأجورون المنسلّون إلى ويج وبيليتشي أبكي، ذات مرةٍ رأيتُ الخطيبَ إسرائيل أمتر بلهجته اليديةِ الواضحة. كلّ امرئ جاسوسٌ.

أمريكا لا تريدين فعلياً الذهابَ للحربِ.

أمريكا الروسُ أشرارٌ.

الروسُ، الروس والصينيون. والروس.

تريد روسيا أكلنا أحياءً. روسيا قوّة مجنونة. تريد إخراجَ سياراتنا من مكامنها.

تريد القبض على شيكاغو.

تحتاج ريدرز ديجيست[1] حمراء.

تريد مصانعنا الآلية في سيبيريا، ببيروقراطية ضخمةً تُدير محطات بترولنا.

1- ريدرز ديجيست: مجلة منوعات تُترجم للعربية باسم "المختار". (م)

لا فائدة. يا للذعر.

من يساعد الهنودَ في تعلّم القراءة.

من يحتاج زنوجاً أشدّاء. ياه.

تريد أن تجعلنا نعمل جميعاً ست عشرةَ ساعةً يومياً. النجدة.

أمريكا هذا أمرٌ جادّ.

أمريكا هذا انطباع خرجتُ به بمجرد النظر إلى التليفزيون.

أمريكا هذا صحيح؟

الأفضلُ الوصولُ إلى عملي مباشرة.

لا أريد الانضمامَ إلى جيشٍ

أو تشغيلَ مخارطَ بمصانع أجهزةٍ دقيقة،

بصري كليلٌ وعقلي مُختلّ على أيّ حال.

أمريكا لأضعَ كتفي الغريبَ إلى دولاب العجلة.

شعراء من قارات أخرى

سولجنيتسن

مطرٌ بخربشاتٍ داعرة

ولد ألكسندر إيزيفتش سولجنتسين في كسلوفوديسك 1918. بعد تخرجه في جامعة روستوف قسم الرياضيات، نال إجازة الأدب بالمراسلة، ثم استُدعي للخدمة العسكرية. ظل يخدم بالجبهة، نال أوسمةً وترقّى لنقيب. قُبض عليه أول 1945 شرق بروسيا مُتّهماً بازدراء ستالين. قضى بمعسكرات العمل ثماني سنوات، وضعَ بمعسكر عام مع المجرمين في القطب الشمالي ثم بمعسكر خاص مع سجناء الأحكام الطويلة. وصف هذه المعسكرات بروايته "يوم في حياة إيفان دينزوفتش". أُطلقَ سراحه بعد وفاة ستالين 1953، لكن كان عليه أن يقضي بالمنفى ثلاث سنوات أخرى سُمح له فيها بزوجته،

قبل العودة إلى روسيا. استقرّ في ريازان، معلماً بالمرحلة الثانوية. نُشرت روايته "يوم في حياة ايفان دينزوفتش" 1960، بقرار نهائي من خروتشيف نفسه، ونفدت على الفور. هاجمته صحيفة "ليتراري جازيت" الروسية 1968، بزعم أنه منذ 1967 وكلّ هدفه بالحياة هو معارضة المبادئ الأساسية للأدب السوفييتي، كما اتّهم برضاه عن الدور الذي منحته إياه إيديولوجيات معادية لروسيا. فطُرد من اتحاد كتّاب السوفييت 1970. وبعد نشر روايته "أرخبيل الجولاج" 1974 في أوربا، قُبض عليه وتم ترحيله بالقوة. بعد تولّي جورباتشوف الحكم عاد لوطنه "كي يفنى هناك"، كما قال.

من كتبه: رواية "عنبر السرطان"، قصص "منزل ماتريونا"، مسرحية "العشيقة والبريء"، "لينين في زيورخ"، "شمعة في عتمة"، وغيرها. نال جائزة نوبل في الآداب 1970. وتمثّل قصائده خيالاً ساخراً وعميقاً، ينشُد الحرية بعينين مفتوحتين، قبل هلاك السجون. والقصائد من طبعة "بنجوين 1982".

حرية التنفّس

وابل من مطرٍ ليلاً وسحابٌ أسودُ يجرف السماءَ بين حينٍ وآخر، رشاشُ ضبابٍ بديع.

تحت شجرةٍ تفاحٍ يانعة، أقفُ لأتنفّس. عشبٌ حولها يتلألأ بالندى، فلا يستطيع الكلام وصفَ الشذا المتخلّل بالهواء. أستنشُقه عميقاً فيغزو العبير كياني كله، أتنفّس وعيناي مفتوحتان، أتنفّس وعيناي مغلقتان. غير مستطيعٍ تبيان أيّها يمنحني اللذّة.

كما بان، هو أثمن حريةٍ يحرمنا إياها السجن: حرية التنفّس الطلق، كما أفعل الآن. لا طعامَ بالأرض، لا خمرةَ، أو حتى قُبلةَ امرأةٍ أعذبُ عندي من هواءٍ ينغمس بشذاه الزَهَر والندى والجدّة.

لا يهم أنها حديقة صغيرة، تحدّها بيوت من خمسة طوابق مثل كهوف حديقة الحيوان. أقفُ لأسمع الدرّاجات تُضرَم قبل الأوان، وترنّم الإذاعات فتخرخر السمّاعات. وطالما هناك هواءٌ جديد للتنفّس تحت شجرةِ تفاحٍ بعد وابل مطرٍ، فستطول بنا الحياةُ قليلاً.

مشعلةٌ ونمل

رميتُ زندَ خشبٍ عفناً إلى النارِ دون أن ألحظ أنه زاخرٌ بالنمل. بدأ يُطقطقُ، فتشقلبَ النمل للخارج قانطاً. ركضَ إلى أعلى متلوياً واللهب يسفعهُ. أمسكتُ الزندَ فأملتُه جانباً. فرّ نملٌ كثيرٌ إلى الرملِ أو على ورق صنوبرٍ مسنون.

لكن ويا للغرابةِ، لم يولِّ الأدبارَ من النار.

فلم يكد يتخلص من رعبه حتى استدار ببعضٍ من قوةٍ وارتدّ إلى الوطن المنبوذ. تسلّق معظمهُ عائداً للزندِ المشتعل، طافَ من حولهِ وهناكَ هلك.

جَرو

يحتفظ ولدٌ وراء فنائنا بكلبه الصغيرِ مُسلسلاً، تصفِّده كرةٌ من صوفٍ منذ نشأته.

أخذتُ له يوماً عظامَ دجاجٍ دافئةً لذيذةَ الرائحة. تركَ الولد مقودَ كلبِه الهزيل لدورةٍ بالفناء. هناك ثلجٌ مكدّس لون الريش، والجَرو موثقٌ مثل أرنبٍ بريّ، بدأ على قائمتيه الخلفيتين ثم الأماميتين، ذاهباً آيباً من ركن لآخر بالفناء، يطمرُ أنفَه في الثلج.

ركض تجاهي، فراؤه أشعث أغبر، وتقافزَ ليُشمّم العظم. ثم ابتعد من جديد، نافخاً بطنه في الثلج. لا أريدُ عظامكَ، صاحَ، هَبني حرّيتي . . .

انعكاسات

تنعكسُ الأشياءُ قريبةً أو بعيدة، على سطحِ غديرٍ يفيضُ سريعاً، مبهمةً على الدوام، وحين تصفو المياه فلا تعكسُ رغوتُها رقرقات الغدير المنتظمة، تضطربُ لألأةُ الأشكالِ في الماء، لكن تظلّ غامضةً، في شكّ وإبهام.

حين تطفو المياهُ أنهاراً بعد أنهارٍ للعنان إلى مَصَبٍّ هادئ، أو لترتاح راكدةً في بحيرةٍ صغيرةٍ ساكنة. نرى بمراياها الناعمة كلّ ورقةِ شجرٍ على الضفّة، أيّ خُصلة غمام، فتتّسع زُرقةُ الغمرِ بالسماء.

حياتنا هكذا. فلو عجزنا لدرجةٍ بعيدةٍ أن نرى بوضوحٍ أو نعكسَ قسماتِ حقيقتنا الخالدة، أفلا يعني ذلك أننا نمضي إلى النهايةِ. أننا نحيا؟

رمادُ شاعر

تتبع قرية لجوفو بلدة أولجوف العتيقة قرب نهر أوكا، وقد تخيَّر الروسُ زمانَهم موقعاً يشرف بجمالِه على ماءٍ جارٍ طيبٍ سائغ للشاربين.

نجا نجفار إيجورفتش من القتل بمعجزةٍ على يَدَي أخيه، فأسس ديراً لذكرى رِفعة العذراء تقدمةً للشكر. انظر من هناك أيّ يوم صاف، عبر مروج الماء، على بُعد خمسة وثلاثين فرسخاً، حيث يطلّ على ربوةٍ برجٌ طويل لدير القديس يوحنا المقدس.

وبين آخرين، اختار ياكوف بتروفتش بولونسكي المكان كأنه ملكه، ترك وصية للدفن فيه. يظنّ الإنسان أن روحَه ستحوّم فوق قبره متطلّعة حوله إلى ضواحي الريف الآمنة.

شكّلت الكنائس المُقبّبة وأنصاف حوائط الصوّان الباقية سُوراً ثقيلاً بسلك شائك، يُشرف على المكان العتيق وحوشٌ أليفة مُمرضة وأبراج مراقبة. بمدخل الدير بيتُ حارسٍ ويافطةٌ عليها عامل روسيّ يحضن بين ذراعيه فتاة سوداء عفيّة

تحتهما "السلام بين الأمم".

ندّعي الجهل. بين الأكواخ حيث يسكن الحرّاس، سجّان خارج الوردية، يلبس فانلة، قال:

"كان ديرٌ هنا، منذ أعوام. وإصلاحية للصغار، لكن الصغار لم يعرفوا طبيعة المكان، فوسّخوا الحيطان وهشّموا الأيقونات. ثم ابتاعت الكنيستين مزرعة جماعية بمبلغ أربعين ألف روبيل . ابتاعت قرميده، لإنشاء حظيرة أبقار كبيرة بستة صفوف من المرابط. عملتُ فيها بنفسي. كنا نقبض خمسين كوبيكاً للقرميد الواحد، عشرين كوبيكاً لنصف القرميد. لم نستطع خلعه سليماً . كان ملتصقاً دائماً بنتوءات ملاط. وجدوا تحت الكنيسة قبواً به مُطران. هيكل عظميّ فقط، لكن كساءَه بخير. حاول اثنان منا فتقَ الكساءِ نصفين، لكن قماشه من نوعية ممتازة فلم يتمزّق... ".

"أخبرنا . وفقاً للخريطة، هنا دُفن الشاعر بولونسكي. أين قبره؟"

"سيعجزكم رؤية بولونسكي. فهو بالطوق الخارجي". هكذا صار بولونسكي خارج الحدود.

وماذا نرى أيضاً هناك؟ أثرٌ مفتّت؟ دار السجّان لزوجته "ومن بولونسكي؟"

بداية نهار

عند الشروق يرهق ثلاثون شاباً أنفسهم راكضين بأرضٍ جرداء، ينتشرون كمروحةٍ ثم ينحنون أرضاً وجوههم للشمس، يرتمون مقوّسين رُكبَهم، راقدين منبطحين على وجوههم، ممددين أذرعهم رافعين أيديهم، ثم مرتمين على ركبهم من جديد. دام هذا ربع ساعة.

تظنّ من بعيدٍ أنهم يُصلّون.

بهذا العمر لا يندهش المرء من تدليل بعضنا أجسامَهم دائماً برعايةٍ وصبرٍ.

ويسخرون إن دللتهم على الاهتمام نفسهِ بأرواحهم.

لا. ليست صلاةً. بل تمريناتٌ صباحية.

لن نموت

كبُرنا على خشيةِ الموت والموتى.

لو أصاب الموتُ عائلةً نتحاشى الكتابة أو الهاتفَ فلا نعرف ما نقولُ عن الموت.

وعارٌ أن نذكُرَ الجبّانة حتى بكلام جادّ. لا تقول وقت العمل "آسف، لن آتي الأحد، فسأزورُ أقاربي بالجبّانة". ما علّة الضيق ممن لا يريدونك ضيفاً على وجباتهم؟

يا لها من فكرة . نقلُ ميت من بلدةٍ لأخرى! لن يعيركَ أحدٌ سيارة. وإن كنتَ مُعدَماً فلن تتسنّى لك عربةُ موتى أو موسيقى جنازة . مجرد رحلة عَجِلة فوق لوري. آهٍ لو اعتدنا زيارةَ جبّاناتنا بالآحاد والتنزّه بين القبور، منشدين ترانيم بديعة وسط بَخورٍ زكيّ الشذا، لارتاحت قلوبنا وهدأت مخاوفنا الموجعة من موتٍ مُحتّم. عندئذٍ سيبتسمُ الموتى تحت ركامِ الرماد "لا تخافوا . . . الأمر على ما يرام".

لو ظلت الجبّانة سليمة، بلافتةٍ عليها "يا أصحاب القبور!

زيّنوها قصاصاً من القدَر!". لكنهم يسوّونها بالأرض غالباً، لبناء أنديةٍ ومواقف سيارات.

هناك من مات فداءَ الوطن. أنا أو أنتَ. ويحين زمانٌ تعدّ فيه الكنيسة ذكرى المُستشهَدين بساحةِ المعركة. وتقيم الشعوبُ ذكرى لمن مات فداءً لنا.

مات كُثرٌ فداءً لنا نحن الروسَ أكثر من أيّ شعبٍ آخر، ولا ذكرى لهم. لو وقفنا عند الموتى، فمن يبن العالم الجديد؟ بثلاث حروب خسرنا أزواجاً وأبناءً وعشاقا. حتى لننفرَ من تفكيرنا الدائم فيهم. إنهم مجرد موتى دُفنوا تحت قوائمَ خشبية مطلية. فلماذا يُقحمون أنوفهم بحياتنا؟ يظنوننا لن نموت؟

بطّوط

بطّوط أصفر صغير، يتخبّط مُضحكاً على بطنه الأبيض بالعشب المبللِ، ثم وقفَ خائفاً على رجليه النحيلتيْن الواهنتين، يجري أمامي ويُبطبط: "أين ماما؟ أين عائلتي؟"

لا ماما عنده، فدجاجةٌ ترعاه: كان بيضُ بطّ في عشّها، رقدت عليه وفقّسته. ولحمايتهِ من طقسٍ عصيبٍ نقلت بيتها، من سلّةٍ مقلوبةٍ دون قاعٍ إلى سقيفةٍ غَطّتها بكيس. كانوا جميعاً هناك، عداه فقد تاه. تعال إذن، يا صغيري، ودعني آخذك بين يديّ.

ماذا يُبقيه حياً؟ فهو لا يزن شيئاً، عيناه سوداوان صغيرتان كخرزتين، ورجلاه كرِجلَي عصفور، أو مجرد بَصمةٍ ليس أكثر. مع ذلك فهو دافئٌ بالحياة. منقاره الدقيق قرنفليٌّ شاحب يميلُ قليلاً، كظُفر إصبعٍ مقصوص. برجليه غشاءٌ حقيقيّ، وبين ريشهِ أصفر، أما جناحاهُ الأزغبان فناتئان. لكنه يتأبى أخوةَ الحضانة.

نحن البشرَ سنطير لكوكبِ الزُّهَرَة، لو بذلنا جهودنا لحرثنا العالمَ كلّه بعشرين دقيقة. لكن مع كلّ قُدرتنا النوويَة فلن نقدر (أبداً!) على تخليق ذرّةٍ واهنة من بطوطٍ أصفر في أنبوبِ اختبار، حتى لو مُنحنا الريشَ والعظام، فلن يكون بمقدورنا تجميعُ مخلوقٍ كهذا.

زند شجرة دردار

بينما ننشرُ حطبَ الوقود لقطنا زندَ شجرةِ دردار فصرخنا مندهشين. مرّ عامٌ منذ شقّقنا الجذعَ، سحبناه لجرّارٍ بعد أن نشرناه عدةَ زنود، رميناها لمركباتٍ وعربات، دحرجناها أكداساً فكوّمناها بالأرضِ عالياً. ولم يستسلم بعدُ زندُ شجرةِ الدردار! فقد تبرعمَ منه طَلْعٌ أخضر واعداً بغصنٍ مُورقٍ وكثيف، ربما بشجرةِ دردار جديدة كلياً. وضعنا الزند فوق حصانِ النشر، كمن على قُرمةِ إعدام، لكن لم نستطع غصب أنفسَنا على قَرضه بمنشارنا. كيف استطعنا؟ كان زنداً يَعُزُّ الحياةَ قدر ما نعزّها واقعياً، وحافزهُ ليعيشَ أشدّ منا.

دلو قديم

نعم، غابة كارتن مكانٌ موئسٌ ليكتشفهُ جنديّ سابق. في بُقعة آثارٌ محفوظة من ثمانية عشر عاماً. تنهار جزئياً، كخيطِ خنادقَ أو موقعِ إطلاقِ لكتيبةٍ من مدافع الميدان، كنقطةِ تحصيناتِ فصيلة مشاة بعُصبةٍ مجهولة من جنودِ الروس الأشدّاء، بمعاطفَ باليةٍ حشروا فيها أنفسهم. بمدار السنين تقوّضت أسقُف المخبأ طبعاً، لكن الخنادقَ واضحةٌ لمن يرى.

مع أنّي أحارب هنا للأبد، كنتُ على أُهبةِ استعداد بغابة أخرى قريبة. أسيرُ من مخبأ لمخبأ ساعياً لبناءِ الموقع. وأنا خارجٌ من عمق إحداها، عثرتُ فجأةً بدلو قديم رقد من أيامٍ أفضل متروكاً هناك من ثمانية عشر عاماً.

وجدته أولَ شتاءِ حرب، كان مكسوراً. ربما لقطه جنديٌّ ألمعيّ من قريةٍ أُحرقَت، فأعطبَ نصفَ جانبه السفليَ إلى مخروط يوصل به موقدَه الصفيحَ للمدخنة. في هذا المخبأ، فترةَ تسعين يوماً أو مائة وخمسين، استقرّ خطّ المواجهة بهذا

القطاع، فانصبّ الدخانُ من الدلو المكسور. كان يتّقد بسخونة جهنّم، فيدفئُ الرجال عليه أيديهم، وقد يشعلون منه سيجارةً ويحمّصون خبزاً أمامَه. وحيث مرّ الدخانُ من الدلو، انساب كلامٌ أبكم وأفكارٌ صمّاء ممن سكن هنا. رجالٌ، وا أسفاه، ماتوا من زمان طويل.

ذاتَ صباح منير تغيّر الموقعُ تكتيكياً، فانعزل المخبأ، وبينما كان ضابطٌ يستحثّهم. "هيا، تقدّموا!". أطفأ عجوزٌ الموقدَ، صرّهُ بدولابٍ مدفعٍ وهو يُعبّئ كل شيء، فلم يعد هناك فراغٌ لدلوٍ مكسور. صرخ الميجور "ارموا هذه النفاية! ستجدون أحسن منها بالمكان الجديد". كان الدرب طويلاً، ولم يكن الطقسُ الربيعيّ الدافئ ببعيد. وقف العجوز هناك بالدلو المكسور، ألقاه بحسرةٍ في مدخل المخبأ.

ضحك الجميع.

رفعوا زنودَ الخشبِ عن السقيفة وانتزعوا الأسرّة وموائد الداخل، لكن الدلو النفاية ظلّ هناك جنبَ مخبئه. وقفتُ هناك، فهلّت بعيني الدموع. كانوا رائعين، زملاءَ أيام الوَغى. تلاشت الروح التي أذهبتنا وآمالنا، حتى زمالتنا المؤثرة. كلّها دخان، ولن تعود لنا حاجةٌ بمثل هذا الصدئ، المُهمَل...

رحلة على نهر أوكا

حين تسافر على دروبِ الريف بروسيا الوسطى، تفهمُ هذا الأثرَ الملطّف بالضواحي:

السببُ كنائسُها. ناهضةً على قمم التلال وفي جنباتها، هابطةً نحو أنهارٍ تتّسع كأميراتٍ بيض وحمر، متساميةً فوق أكواخٍ خشبية، ومن القشّ حياتُها اليوميّة بأبراجٍ هيفاءَ محفورةٍ ومطليّة، تُحيّي بعضها الآخر من بعيد، من قرى لا مرئيةٍ شاردةٍ قائمة نحو السماء ذاتها.

لن تستوحشَ حيث تجولُ، في حقولٍ أو مراعٍ على بُعد أميالٍ من منزلكَ: فوقَ جدرانِ أشجارٍ، فوقَ أكوامِ تبنٍ، أو فوقَ حنية أرضٍ قريبة؛ فقُبّةُ البرجِ تومئ إليكَ دائماً، من بوركي لوفتسكي، ليوبتشي، أو جفريلوفسكوي.

مجرد أن تدخلَ قريةً تدرك أن كنائسها التي رحّبَت بكَ من بعيدٍ لم تعد ذا حياة. فصلبانها معقوفةٌ من زمنٍ أو تكسّرت، وتكشفُ القبّة بطلائها المُقشّرِ عن ضلوعٍ صدئة، وطالَ

الأسقفَ العشبُ ودخل شقوقَ الحيطان، ولم تعد الجبّانةُ تعني أحداً تقريباً، فصلبانُها ركعت وقبورها نُهبَت، أما أيقوناتُ وراء المذبح فباهتةٌ من عشر سنوات عليها مطرٌ بخربشات نقوشٍ داعرة.

في الرواق براميلُ ملحٍ وجِرارٌ مائلةٌ على عقبٍ نحوها، أو لوريٌّ مستندٌ بظهره لبابِ اجتماعات الكنيسةِ لجمع المنهوبات.

في إحدى الكنائسِ تهدرُ آلاتٌ ميكانيكية، وفي أخرى تقف نفسها هامدةً مكبوحةً. انقلبت كنائسُ أخرياتٌ إلى نوادٍ لعقد اجتماعات الدعاية "نُحرز إنتاجيةً أعلى من الحليب!" أو لعرضِ أفلامٍ قبيل "نشيد البحر"، "المغامرة الكبرى".

الناسُ أنانيون دائماً وغالباً أشرار. لكن نواقيسَ التبشيرِ اعتادت الرنين فيطفو صداها إلى القرية والحقول والغابة. تُذكّر الإنسان أن يفرز شؤونَه الأرضيّةَ التافهة ليُسلمَ أفكاره ولو ساعةً لحياة أبدية. رنينُ أجراسِ المساء الآن أغنيةٌ شعبيّة، ترفعُ الإنسانَ عن مرتبة حيوانية. قد بذلَ أسلافُنا جهدهم في هذه الحجارة والأبراج. بكلّ ما لهم من معرفةٍ وإيمان.

تعال يا "فتكا" تباسط، وكفَّ أساكَ عن حالك! يبدأ الفيلمُ السادسة، والرقصُ بالثامنة...

في ريف يسنين

تنبسطُ على الدربِ أربع قرى رتيبة، واحدةً وراءَ الأخرى. رماد. لا حدائق أو غابات قريبة. أسوارٌ مُخلّعة. بضعة مصاريعَ مطليةٌ زاهية، هنا وهناك. يحكّ خنزيرٌ نفسَه بمضخّةٍ وسط الطريق. لامعٌ ظلّ دراجةٍ أمامكَ، بينما سربُ إوزٍ يُديرُ رأسه في رتلٍ واحدٍ مُتّسقٍ بصيحاتٍ عدوانيةٍ مرحة. وتسعى دجاجاتٌ نشطة على الدربِ والأفنية، تفتّش عن طعام.

متجرُ قريةِ قسطنطينوف العامّ مثل خُمّ دجاجٍ خَرِب. أنواع فودكا. حلوى مقليةٌ كفّ الخلقُ عن تذوّقها من خمس عشرة سنة. أرغفة من خبزٍ أسمرَ مدوّرة، ضعف وزن ما تبتاعه بالمدن، كأنهم كانوا يقصدون شطرَه بفأسٍ لا سكين.

داخل بيت يسنين، حواجز بالية قصيرة لا تصل السقف، تقسمه دواليب أو خزائنَ مفتوحةً أكثر منها غرفاً. فناءٌ بالخارج مسقوفٌ قليلاً، يُستخدَمُ حمّاماً، حيث أغلقَ سيرجي على نفسه بالظلامِ لتأليف أولى قصائده. وراء السورِ حقلٌ صغيرٌ مألوف.

درتُ حول القريةِ، مثل غيرها من قرىً، ينصبّ همّ المزارعين رأساً على المحاصيل وجمع المال ووفاق الجيران. ثم انتقلتُ: قد سفعَت نارٌ مقدّسةٌ هذه الناحيةَ من الريف، أحسّ بها تلفحُ خدّيّ إلى اليوم. سرتُ على ضفّتَي أوكا المنحدرتين، محدقاً بغرابةٍ في البعيد. أهو حدّ غابة خفرستوف التي ألهمَتهُ بخطّ الذكريات "غابةٌ صاخبةٌ بشكوى متذمّر، غابة..."؟، ونهر أوكا المسالم، هائماً عبر مروجِ المياه، حيث كتبَ "أكداسٌ من القشّ في الشمس كانت مُخزّنة بأغوار المياه"؟

يا للصاعقة، موهبةٌ خلاّقٍ ملقاةٌ بهذا البيت، بقلب ولدٍ ريفيّ حادّ المزاج، فتّحت عينيه على جمالٍ صادم. جنب موقد، بحظيرة خنازيرَ، بأرضيّة طحينٍ، في الحقول، جمالٍ وطئهُ الآخرونَ من ألفِ عامٍ وفي بساطةٍ جَهلوهُ.

رسول حمزاتوف

اليأس نطّ من الشجاعة

ولد رسول حمزاتوف 1923 بقرية "تسادا" في داغستان شرقيّ جمهورية جورجيا. سُمّي رسولاً تيمناً بحضرة النبيّ محمد (ص). يقول "الشاعر الذي يعتبره قراء بلاده متحدثاً رسمياً باسمهم شاعر سعيد، ولا تقاسُ حياته بالسنين بل بدواوينه، فلا قياسَ أفضلَ للإنسان من عمله". نشر أولى قصائده بالرابعة عشرة. أصدر ما يزيد عن أربعين كتابا بالآفارية، لغته الأم، وترجمت للروسية وعشرات اللغات الأخرى. يلفت النظرَ إليه عدة سمات: الابتكار، العفوية، استنطاق الحكمة، المجاز الصادم، العقلانية، الفكاهة اللعوب. شعرٌ للناس كلهم، لكنه شعرٌ معاصر في الوقت نفسه يعي مسؤولياته الجمالية بدرجة عالية. نال جائزة لينين 1963 عن ديوانه

"نجوم سامقة". يصرح حمزاتوف "ليس الشعراء طيوراً مهاجرة. والشعر دون تربته الأم، دون إرثه ووطنيته، شجرةٌ لا جذور لها، طائرٌ دون عش. رغبتي أن أضيف سطراً لكنز الشعرِ ببلادي. رغبتي أن أهب الجميعَ أناشيدَ أمي، حيث ولدت". من دواوينه: "أغاني الجبال"، "سنة مولدي"، "قلبي في الجبال"، "وطن الجبليّ"، "نجوم سامقة"، "نجم يكلم نجما"، "امرأة خلاسية"، "الحدود"، "مسبحة السنين"، "نقوش". وله كتاب سيرة مكانية "داغستان بلدي"، من افضل تراجم الشعراء. يشاركنا حمزاتوف الأسى على أيامٍ خلت، لكنه لا يمنح الدفء لقلب وغدا توفي 2003.

توقيعات على أبواب

يا رفيقي المجهول،

تعالَ امكث هنا.

مع أن هذا

ليس من دربك!

تعال رفيقَ التلّ، واقرعْ هنا!

رجاءً. لترتاحَ واثقاً!

إنّا بخير. وإن لم نكن،

فمجيئك يُشفينا!

لا تقرعْ، لا توقظ النائمين،

يا مَن تمرّ بدربنا!

إن تحمل لنا خيراً، فادخل!

وإن شراً، فارحلْ!

هنا مكانك لترتاحَ،

تُفضي بما حملتَ من ضيقٍ،

ادخلْ كضيفٍ كريم،

وارحلْ كرفيقٍ مقيم!

لاحظ يا دخيلُ، أنّي فارسٌ

بي فريضةٌ تحكُمني:

إن دخلتَ عندي، فاذكُر.

أن تمدَح جوادي!

توقيعات على شواهد قبور

لم يكن ذا حكمةٍ،

ولا رجلاً أسمَى.

لكنه، وانحنوا:

كان إنساناً.

تمتّعَ بالحياةِ لكن قدرَ شبرٍ،

عنوانه مجهول، أيضاً المهنة.

ما ندريه: كان إنساناً

ولدَ، بكَى، ثم ماتَ، عويل.

سحب الفارسُ سيفَه

ليجتاحَ محنةً،

بينما انسلّت

وهو يرقد.

هيا يا جبانُ! على قبرِ البطل
تجمّل برفعِ التحية.
لقد حُرم الحياةَ، لكن أورثَ
خنجرَه والبندقية.

يرقد الجبليّ هنا تحت كومة
لم يُخلف ذهباً أو ماشيةً، لا شيءَ،
أينما يلتقي الخلقُ، يسترجعونَ أغانيه،
أينما يلتقي الخلق، يتغنّون به.

ستختارُ،
سيدةُ البيت الصغيرةُ،
شاهدَ قبرٍ أو ما أسوأ،
خدينَ قبرٍ عجوزا.

يرقد هنا فارسٌ باسل!
إقدامهُ مُقيم.

وهاهنا قبرُ خائرٍ.

جُبنه مُقيم!

لا تتعب حظّك، يا عابر!

حظّك أوفرُ مني.

شيّدت ألفَ دربٍ، لكن الواضح:

أيّ دربٍ تستلمهُ، فنهايتكَ هنا!

متُّ كشاعرٍ أرضيّ،

والآن أرقُد هنا.

من راقدٌ بجواري؟

لست أدري!

توقيعات على خناجر

رفيقي، إن ستُخلف
خنجراً، فلا تنس غمدَه!

مهما تسخن الشمسُ بالأعالي،
فلن يجفّ دمُ الشفرة!

لمَن ينتَضي خنجراً، أقولُ:
العقلُ أفضلُ من أيديكم.

يسحبه الأرعن في لمحةٍ،
والعاقلُ يتفكّرُ مرّتين.

حفّ شاربكَ بموسَى،

واقطع شجرتكَ بفأسٍ،

لكن لا تتضعضع بسحبةِ الخنجر.

أغمدهُ، واسترِحْ!

بعد قتلي شخصاً، أنعب مصيره.

قبل قتله، لا مجال سوى بُغضه.

احلف غير حانثٍ

عندَ مقبضِ خنجري!

واحفظ عهودكَ

عند شفرتي!

أينما يُراقُ دمُ شخصٍ بعداء،

فهو يشحذُ مديةً ليُعيدَ سفكَ الدماء.

لا توبّخني حقاً أو إشاعة.

فالخناجرُ لا تتفاكه!

وحشياً بسُعارِ الشرر،

أو باتراً ببرودةِ الثلج،

لا يُنجِبُ الخنجر صغيراً

بل يتامى . بلمح البصر.

توقيعات على أقداح خمرة

أقول للندماء

وهم يسفحون الخمرَ هائمين،

استكشفوا معارفَ الكروم

أو تخلّوا مرحين!

مديحُ الماءِ قد يُشبع

قطيعَ راعٍ ظامئٍ للماء!

لكن لغيرِ الماءِ

جَرّني الثَورُ.

يحتسي الناسُ فيموتون، ولا تزال تحتسي. ستموتُ.

أيتغاضَى الموتُ عمّن لا يحتسون؟

اسفحْ شرابكَ، يا مُماطل،
الأسبابُ، بعدُ!

تنسحبُ لتغلقَ البابَ
فتحسو الخمرَ وحدكَ،
قبلنا سقطت ظلالٌ، لواحدٍ وآخرين
بائنةٌ السرِّ معروفة.

كلّ ما يقالُ عندَ دفقِ خمرةٍ طيّبة،
تعلمهُ الأقداحُ، قبلَ الربّ.

اشرب لتُفعمكَ رغوةُ العبيرِ
وحذارِ الغفلةَ عن دربِ الرجوع!

إدانةُ الشرابِ لم تمنع سكيراً،
لا ولن تمنعَ مدّعي الإدانة.

يُتخمُ المطرُ العيدانَ،
والراحُ راحتُنا.

شربَ الحكيمُ، فصارَ أرعنَ.
والعكس أيضاً.

تسفكُ الخمرَ لتشربَ كالملك،
فيبينُ أنكَ عبدُها الذليل!

مترعةً بالنبيذ؟ أملِها!
وفارغةً؟ عاجلاً صببتَ!

تلائمُ الخمرُ أنواعَ الرجالِ،
ففيها لذّةُ الفناء.
لكن احسب المقدارَ،
لمَ، أين، متى، و. . . الصحاب.

توقيعات على عصيّ

تعجز عن الامتطاء،
فأسيرُ جنبكَ الهُوَينى.

ألبسُ المُوشّى لامعاً
والسائرون حولي حزانَى.
التوقيرُ واجبٌ واحترام
يا من تُثقل منكَبي،
طاعنَ السن أو جندياً جريحا.

أشاركك أساكَ على أيام خلت،
حين كان الغصنُ بأوراقه
غريراً خفيفا.
لأعمىً بائس، كنتُ عينا.
ولفاقدِ الساقِ، ساقَه.

توقيعات على عباءات

لابسو العباءةِ شُجعانٌ بعقولٍ راجحة.

فانظر إن تُناسب مُقامك!

بي راحَ المحاربُ

لقتالِ خصومنا،

فوقي الآنَ اللينُ الناعم،

وقد برَحَت بي الذكرَى.

دافئةٌ أصمُد لتقلّبات الجوّ.

أنفع فراشاً غالباً أو غطاء.

رغم سوادي، لا أمنح الدفءَ

لقلبِ وَغدٍ.

توقيعات على سُروج

اجثم فوقَ جوادك حتى تزلّ
أو يطرحكَ عنهُ جرحٌ قاتل.

فتّش عن الباسلِ فوقَ جوادهِ
والناعسِ تحتَ الشجر.

قبل إرخاءِ العنانِ، يا فارسُ، قفْ:
فلم أُهيّئ فرساً ليست لكَ.

بي تصبحُ رجلاً:
أنا فَرشتُكَ وسريركَ!

توقيعات على حجر مواقد

مهما تبتعد
معكَ حرارةُ الموقدِ والبيت.

المنحوسُ رفيقٌ. قلبهُ هامد.
المنحوسُ موقد. رمادهُ هامد.

لا تأسَ إن لم تجدني ألتهب،
خلِّ أساكَ لمن يطلبُ الراحةَ جنبَ وقيدي.

إن تدفأ يداكَ وركبتاك،
يرتاحُ قلبك.

لن تحسَ حرارةَ الوهجِ

من موقدٍ رآكَ تكبر!

الحكاوي المرويّةُ جنب نيرانٍ، عزاءٌ
عن غزاةٍ، ذبحهم الأبطالُ البواسل.

توقيعات على مهود

تهلّ عليكَ أحلامٌ سعيدة

قد تتحقّقُ تواً في جذل.

لن يدعكَ الصغيرُ تنامُ

من دمعهِ وضحكاته الرائقة؟

مثله، تعولُ وتُريقُ الضحكات.

فيحذو حذوكَ الصغيرُ.

توقيعات على صخور

ابكِ، أيها البطلُ المُبتَلَى،

ابكِ دون خَشيةٍ!

قد ترى الصخرةَ أيضاً،

تذرفُ دمعة.

تصلُ الشجاعةُ للذُرى،

فينطّ اليأسُ منها.

في الغرامِ، لا يفهمُ النَسرُ أو المحارب

كم تعلو الصخرة.

مولانا جلال الدين الرومي

ملكٌ في عباءة درويش

عاش مولانا جلال الدين الرومي (1207 . 1273م) معظم حياته في قونية، تركيا، وكانت مركز التقاء عديد من الثقافات التي طبعت روحه، وتجمعت في شعره نثارات عفوية. ولد الشيخ في بلخ (أفغانستان حالياً) وكان يكتب أو يُملي غالباً بالفارسية، لغة الأدب حينذاك. كتب مولانا كتاباً فقهياً بعنوان "فيه ما فيه"، قبل لقائه صدفةً بالقطب التبريزي، فكتب "ديوان شمس الدين التبريزي" ثم "الرباعيات" ناتج لقائه الروحيّ بالولي. وقيل إن من قتل القطبَ هم تلاميذ مولانا، لفصم عُرى علاقته بالشيخ المولّه به. وبأخريات عمره الجليل كتب "المثنوي" أعظم دواوينه على الإطلاق، وهو

مجموعة قصص وحكايات مركبة وغنائيات وتعاليم إشراقية غامضة.

يقول المستشرق رينولد نيكلسون "مولانا الرومي أعظم شاعرٍ صوفيّ في أي عصر"، وقد نسب التبريزي إلى سقراط، لكنه نسب الروميّ إلى أفلاطون، لما بين الأخيرين من انغمارٍ روحيّ وعفوية انجذاب. ولغة الروميّ كلغةِ الصوفيين، لغة أحاسيس، حيث تمدنا "بظلالٍ من صور الروح التائقة للحلول في الله"، كما يقول نيكلسون. ويعرف الرومي أن "رجل الله أبعد من الكفر والإيمان، لم يخلق من نار أو زَبد، ولم يتحدّر من نسل آدم. تَنشُدُه فتجده، وحين يرقدكَ الترابُ، فالحياة بلىً يزن العدم". وقال بإحدى رباعياته: "صلاح أعمالي أن أبلّغ مثل هذا الحب/ كالسلوان إلى التائقين إليك/ أسلك حيثما قد طفت/ وأحدق في نجَس قد ألحّ".

1

الصوفيّ مغشيٌّ دون خمرة،

الصوفيّ ممتلئٌ دون قُوتٍ،

الصوفيّ ذاهلٌ ومحيِّر،

الصوفيّ لا ينامُ أو يطعَم.

الصوفيّ ملكٌ في عباءةِ درويش،

الصوفيّ كنزٌ في حطام.

الصوفيّ لا من أرضٍ أو هواء،

الصوفيّ لا من نارٍ أو مياه.

الصوفيّ بحرٌ لا يُحدّ،

الصوفيّ يُمطر لؤلؤاً دون سحابة.

الصوفيّ بمئات السماوات والأقمار،

الصوفيّ بمئات الشموس.

الصوفيّ يجعله الصدقُ الحكيمَ،

الصوفيّ ما فَقّهَتهُ الكتب.

الصوفيّ أبعد من الكفرِ والإيمان،

الصوفيّ الخطأ والصواب سيّان.

الصوفيّ منفلتٌ دون كينونة،

الصوفيّ بوَقفة البهاء.

الصوفيّ بحجابِ شمس الدين،

الصوفيّ تَنشُدُه فتجدهُ!

2

يُلقّنُ طيلةَ الليلِ حيلَ العشقِ للزُّهرةِ والقمرِ،
يختم بسحرِ عينيهِ عينَي السماء.
انظروا لقلوبكم! مهما يحدُثُ يا مسلمين،
فقد امتزجتُ به ولا قلبَ ممتزجٌ معي.
ولدتُ بحبه بدايةً، ووهبتُه قلبي نهايةً،
تبزُغُ الثمرةُ من غصن، فتتدلى عليه.
يقول بطرفِ خُصلته "هيا، لرقصةِ البهلوان".
خدُّ شَمعتهِ يُصرّحُ "أين هي الفراشة التي تحترق؟"
إلى رقصةِ الحَبل، يا قلبُ، عَجّل، تكُن طارةً،
احترقْ، في حين شمعتُه مُضاءَة.
فَناؤكَ لن يحورَ دون حريقٍ، جَذَلُ الحريقِ تدركهُ لهفتُك،
لو هَلّ ماءُ الحياة، فلن يفتنكَ عن الحريق.

3

أنت من أختارُ مِن دنياي، وحدي،

هل ذبولكَ يُلقي بي لأقعدَ محسورا؟

قلبي ريشةٌ بيدكَ،

فنونكَ علّةُ سَعدي أو تعاستي.

نَجّه النازعَ إليكَ، مَن سيملكُني؟

نَجّه المُظهر عليكَ، ماذا يُريني؟

تبرُز خارجاً منّي شوكةً أو وردة،

أشمّ الآن ورداً وأنزعُ الآن شوكاً.

لو أقمتَني هكذا، فهكذا أنا،

لو ملكتَني هكذا، فهكذا أنا.

بالوريدِ تَهَبُ اللونَ للروحِ

مَن أنا، من لعشقي وبغضائي؟

كنتَ بدايةً، وأخيراً تكون،

فخُذ بنهايتي من ابتدائي.

إن تحتجب فنونكَ، أكُن أهلَ ريبةٍ،

وإن تتبدّى فنونكَ، أكُن من الصادقين،

ليس عندي غير ما منحتَني من لهفةٍ،

فماذا تُريد من صدريّتي وكُمّي؟

4

لحظةُ جلوسنا بالقصرِ سعيدةٌ، أنتَ وأنا،
هيئتان بصورتين والروحُ واحدة، أنتَ وأنا.
يمنحنا الخلودَ، لونُ بستانٍ وصوتُ طيرٍ
وقتَ أن ندلفَ للحديقة، أنتَ وأنا.
تهلّ نجومُ السماءِ مُحدقةً بنا،
فندلُّها على القمرِ نفسه، أنتَ وأنا.
أنتَ وأنا، أحدان لا أكثر، نمتزج في غَشيةٍ
ومَسرّة، واثقَين من هذيانٍ أخرقَ، أنتَ وأنا.
طيورُ السماءِ لامعةٌ أرجوانٌ يأكل قلبَها الحَسَدُ
بوَقفتنا حيث نضحك على هيئةٍ، أنتَ وأنا.
عجبٌ عُجاب، أنتَ وأنا، جالسان بخُلوةٍ واحدة
ووقتٍ واحدٍ، في خراسانَ والعراق معاً، أنتَ وأنا.

5

يطلعُ قمرٌ في سماءٍ لم ترَهُ أبداً، يقظان أو حالماً،

تتوّجك الشعلةُ الخالدةُ فلا فيضَ يَخمدُها.

عجباً، ومن إبريق حبكَ يا إلهي، روحي تستحمّ،

وصَلصَالُ جسمي تَهَدّم!

في البدء يَهَبني الكرومَ، قلبيَ أعزلُ تنصُرهُ

خمرٌ أشعلَت صدري فأوردتي مُفعمَة،

وحين ملكَت عينيَّ صورتُه، تَنَزَّلَ صوتٌ:

أحسنتِ، بنتَ الكرومِ الناجعةَ يا كأساً فريدة!"

ذراعُ الحبّ جبّارةٌ من سقفِ كلّ ظلامٍ إلى قاعهِ حافرة

تتّقي الصُدوعُ صيدَ شعاعٍ ذهبيّ.

قلبي، حين بحرُ الحبّ منفجرٌ على مَشهَده،

يثب طائشاً مع "جِدني الآن يا من يَرتَجي!"

بينما الشمسُ تنتقل، غمامٌ يعدو وراءَ غمامٍ،

ترقبكِ القلوبُ كلّها، يا شمس تبريزي.

6

نسخٌ ماحلةٌ من بدعِ السماء،
صورٌ أرضيّةٌ تتهرّأ في بلىً،
فماذا يهمّ غير حسانك اللاتي فَنَيْنَ،
وكلّ ما يَهَب الحياة باقٍ للأبد؟

قلبكَ ذاهلٌ أبداً بالكُروبِ المُوهنات:
وكلّ حديث عالٍ يفتنُ السمعَ الجَذل،
كلّ منظرٍ مُمَوّهٍ وكل لألأٍ جريء تبدّى
شاحباً هلوكاً، على غير ما نخشاه.

بينما تكدُّ الينابيعُ البعيدةُ مفعمةً،
راحَ كلّ غديرٍ طافحاً للأصلِ.
ولأن الغديرَ لا الينبوع قد ينفَد،
فمخاوفكَ خرقاءُ، عويلُكَ دون جدوى!

ألا تعرف حكايةَ الينبوعِ؟
هو الروحُ منه تنشأُ الخليقة.
ولن تكفّ الغدران عن فَيضِها
حتى تصمتَ الينابيعُ للأبد.

وداعا للأسى، وببالٍ هادئٍ
اشرب طويلاً عميقاً، ودعهُم يرون مولَهين
فراغَ القناةِ التي سيُصادفون،
لسبرِ غَورِ غديرٍ لا يُسبَرُ غَورُه.

حينَ تصيرُ بالعالمِ السفليّ الذي مُنحتَ،
إزاءكَ سلّم يُمكّنك من الارتقاء،
حاذر خطواتكَ أولاً، وكابد الصعودَ،
من الفارسِ المعدنيّ إلى النَجم، ثم لأعلى.

تالياً لوجودِ الحيوان: بعدهُ الإنسان،
بالمعرفةِ، الرشد، الحقيقة. هدفٌ مُعجزٌ

هذا الجسد، بدأته ذرّة تراب.
ثم صيغ كلاً، بوضوحٍ اكتمل!

بل ابقَ، ليست هنا رحلتُك: فستبرُز
ملاكاً منيراً يعودُ إلى السماء بعيداً.
تتهادى منغمراً ببحرٍ أعظمَ، فتُضاعفُ
قطرتُكَ القليلةُ المحيطاتِ سبعةَ أضعافٍ.

"ابن الله!" كلاً، خلّ هذه الكلمةَ،
قل "هو الله أحد، صَمَد، صدقٌ صدوق".
فماذا يُذوي هيكلكَ كهلاً ومَيْتا،
إن تُسعفُ الروحُ شبابَها الخالد؟

7

عجبا، أنا لنفسيَ مجهولٌ، فما حاجتي الآن لاسم الله؟

لا أعبُد صليباً أو هِلالا، ولستُ بكافرٍ أو يهوديّ.

لا الشرق لا الغرب، لا الأرض لا البحر منزلي،

عشيرتي مع غيرِ الجان والملاك،

خُلقتُ دونَ نارٍ أو زَبَد، وجُبلتُ دونَ ترابٍ أو ندَى.

لم أولد في صينٍ بعيدة، لا في السكسونِ أو بلغاريا،

ولا بالهند حيث خمسةُ أنهارٍ، لا بالعراقِ نَبَتُّ أو خراسانَ.

لا في هذه الدنيا سكنتُ أو تلك، لا في نعيمٍ أو جحيم،

ولم أتدلّ من عدنٍ ورضوانَ، لم أتحَدّر من نسلِ آدمَ.

بل من بقعةٍ وراءَ البقعةِ الأسمى، صقعٍ دونَ ظلّ الرسيم،

روحي وجسمي مفارقان، أعيشُ بروحِ مَعشوقي من جديدٍ!

8

عالياً أيها العشاقُ، وبعيداً! حانَ أوانُ الرحيلِ عن الدنيا.

أصيخوا، طبلةُ الرحيلِ من السماءِ تنادي صاخيةً صافية: لا يتوانى أحد!

ظهرَ الحادي فجأةً، فالركّابُ على أُهبة،

والخلاصُ الآن فوزٌ: لمَ تنعسونَ يا ركّاب؟

خلفنا أمامنا جلبةُ الرحيلِ تفُحُّ مع الجلاجل،

منسابةً في فراغٍ دونَ شطّ، رُوحٌ مُحرّرةٌ هائمة.

أنوارٌ تُرصّعها النجومُ من بعيدٍ، عبرها ظُلَلُ السترِ داكنةً زرقاء

أطيافٌ يكتنفها السِرُّ طافيةً بمشهدٍ، كلّ مُبهَمٍ وغريبٍ مُنكَشف.

من فُلكه دربٌ يدورُ على محورٍ، سُباتٌ غامضٌ في كسائلك:

يا حياةَ البِلَى التي تَزِنُ العدَم، يا نعاساً تعباً على رُوحي!

يا قلبُ، للعشقِ قلبُكَ يمضي، ويا رفيقاً يطيرُ إلى الرفيق،

تأَرَّقْ يا حارساً حتى النهاية: فالنعاس لا يبدو أنه حارسٌ.

9

لمَ يسكن ذبولكَ بجُحرٍ عَفن، يا قلبي الأسيرَ؟

مَضاءٌ هي الرحلةُ! ومضةٌ برعايةِ فنونكَ من دُنيا بعيدة.

فيعرضُ راحتكَ على صدرهِ، يطرَحُ الحجابَ بعيداً:

هل بيتك قصرُ الفناءِ إلى الأبد؟

واهاً لتأمّلكَ المرتبةَ الحقّ، ذاتكَ ترحابٌ وجائلةٌ

في ظلامِ هذه الدنيا، سَجنكَ، فتدورُ لأيكةٍ سماويّة.

يا ضيفاً على مأدبةِ حبٍّ سامية، يا طيراً من ملائك الأكوانِ،

يستنفرُ البكاءَ، أن يُسكنكَ ذبولُكَ هاهنا.

صوتٌ بالضُحى عندكَ. يهمسُ الله بالروحِ.

"لو أرقدكَ الترابُ على الدربِ، سيكسب ذبولُكَ الجولة".

الدرب صوبَ مقامي عندكَ! واعجباً، بوردهِ وشَوكهِ،

فقد ذُبحَ الكثيرُ من عشقِ زهرةٍ وآلامِ تمنٍّ غَريرٍ،

مَن بالمَجازِ سقطَ جريحاً وعاد فلم يرِ، قبل النهاية،

لمسةً، قُبلةً، شعاعَ نعيمٍ، أمارَةَ الرفيقِ!

أشعار من أفغانستان

ماذا تبقّى، لأحتمل

تتنابنا جميعاً مشاعر متضاربةٌ نحو الغربِ، فالبعضُ مُستلَبٌ تجاههُ والبعضُ رافض، وقليلٌ حياديٌّ لا ينفعلُ يميناً أو يساراً، يرى الأمرَ برُمّته من فوقٍ بنظرة "عين عُصفور" كما يقول أهل الفن التشكيليّ عن مشهد لوحةٍ ترى العالم من أعلى. وبعد زلزال 11 سبتمبر، هبط كصاعقةٍ زلزالٌ آخر في بوادي أفغانستان. فصار منظرو "عين العصفور" في حالٍ يُرثى لها. وتأسياً بقاعدة "انصر أخاكَ، ظالماً أو مظلوماً"، نورد هنا أشعاراً أفغانية لكتّاب وكاتبات معاصرين، نشرتها مجلة "ليمار أفتاب" (عددي 2000/2001) وهي فصلية أفغانية تصدُر بالمهجر.

يتميز شعر الأفغان هنا بأنه إنسانيّ بالغ الحساسية، إذ يدور معظمه حول نوستالجيا الذكريات لأماكن قرب الروح حيث نشأ المرء، مهما كانت البقعة بالية أو معطوبة أو تكتنفها الأهوال. وتبين الروائية الأمريكية سوزان سونتاج الموقف هكذا "كان يوم الثلاثاء 9/11 يوم مذلة، وقد عقدنا العزمَ جميعاً وبدعمٍ من وسائل الإعلام المنقادة ألا نصدمَ الرأي العام بجرعةٍ أكبر من اللازم. فاستُبدلت الديمقراطية بالعلاج النفسي، كأننا وقعنا صرعى للغباء. لكن سيساعدنا الوعي التاريخيّ على فهم ما حدث وما سيحدُث".

فوق جليد أحمر في كابول

شعر: زلاي هرمان

كعينٍ تخاطبُ بدموعها، أبكي

كامرأةٍ تتّشحُ سواداً على قبر حبيبها،

في حدادٍ أنا

كحبّ كبيرٍ لا يفنَى، أحسّ بالوحشة

كظلّ نورٍ على بادية، أعطشُ

كشاعرٍ ينظف كلماته، أصرّ

كامرأةٍ دون أدنى أمل،

كنساء كابول خلفَ الحوائط،

كصغارٍ مع ذويهم. فوق جليدٍ أحمر

أحسّ إحباطاً وخزياً

لعجزي عن فعلِ شيء...

عطش

شعر: نزار إلياس

عطشٌ بداخلنا
عطشٌ للبوادي الوقحةِ الحارقة،
عطشٌ لأيامٍ قرمزيّة
عطشٌ لعواصفَ بريّة.

فروعنا . بردت.
جذورنا . جفّت.
حدائقنا . ولّت.
شجيراتنا . ذبلت.

عطشٌ بداخلنا
عطشُ سنينٍ طويلة
سنينٍ طويلةٍ ساكنة،
عطشٌ بداخلنا . ملتهب.

وطن

شعر: أمين عظيمي

فاضَ نهرٌ عميق

داخلي، بشرايين الحياة.

العالمُ خارجي بارد

والشمسُ تخسَر قبضَتَها

بأماكن أسافرُ فيها.

صباحٌ منيرٌ بأرضِ حبّ

فتحَ بابَ قلبٍ غامض.

لقد ضعتُ، زماناً ومكاناً

صورتُكَ بداخلي تُقيمُ

طيلةَ وقتي

فأبكيكَ يا وطني. ضعتُ،

وضيّعتك. لكن تظلّ بقلبي.

خسارةً فوق أيّ خسارة

إلى أن أراك،

يا أجملَ مِن عينيَّ.

يطفو ناعماً لحظتها

كمن يعيشُ بداخلي

فأصلي لكَ ليلَ نهارٍ.

هاجس ذكرى

شعر: أمين عظيمي

بليلةِ ماضية، تحت ظلَّ نورٍ،
سمعتُ ترنيمةَ بصمتِ الليل
"آهٍ يا شمعةَ البِشارةِ
نَوِّري لي من جديدٍ ثم انطفئي".
دون حبكِ، لن يهدأ قلبي
في جليدِ الشتاء.
منذ زمانٍ، لم أسمع شقشقةَ طيرٍ
لا أولَ الربيعِ أو آخرَ الخريف.

قلتُ: سيبرأُ ألمي تواً،
فلمَ لا تكفّ أحزانكَ؟
سحبُ الظلامِ ترحل،
والليالي أقصر. قلتُ:

قلبي كما هو، لكن لستُ أحيا.

أسفُ الحب ليس قصيراً.

وماذا تبقّى لأحتمل؟

هاجسٌ بقلبي أن تعودَ ملكَه.

مهما فعلتُ،

بنسيمٍ باردٍ أو موجٍ عاصفٍ،

فلا شيءَ يكتسحُ الذكرياتِ.

ليس من الحكمةِ

شطبُ رغبةِ قلبي

فهو يحترق عاطفةً،

وأحتملهُ وحدي.

شجرة حياتي لن تطولَ

قبل أن تأتي، فلا يسقطُ الزمن.

جمال خالد

شعر: أمين عظيمي

بوجهكِ الخالد، شهدتُ

جمالكِ الخالد. سمعتُ

صوتَ الفتنةِ داخلي

بين أصواتٍ خامدة.

رحلَت بي صورٌ مُفتّتة

تعود زماناً لركنٍ ذاكرتي.

برقصتك المجيدة

هتافاتٌ داخلي، صداها

صوتكِ اللانهائيّ.

لم تعرفي أنكِ عمّرتِ

أحلامي. ومضيتُ بكِ

عبر الزمن. لحظات طافيةٌ

بتخيلاتٍ صرفٍ

وأنغامكِ صوتٌ من الماضي.
لحظاتٌ، أثمن ما فيها
يُعانق ما لا أراه منكِ.

تُطلّ لمحةٌ منَ السماء
بنافذةِ خيالي، مِصراعُها
مزروعٌ داخلي برسالة
صوتكِ المرغوب.

مرت سنينَ منذ آخر مرةٍ
رأيتكِ بقطارِ الذاكرة،
كنتِ ضيفتي، وراحلٌ معكِ
رفيقكِ الصامت.
بحديقةِ متعةٍ عشتُ
مع خيالكِ الوفيّ.
الليلة السالفة، تحت نورِ شمعةٍ
حدّقتُ في عينكِ الماكرة

فنبهني هاجسُ الذكرى

إلى صوتكِ اللانهائيِّ.

تنفجرُ لهيباً، حياتي.

بدائرةِ الزمانِ

عاطفتي إليك، سرّ

صوتكِ الحميم.

ميلاد في بستان زيزفون

شعر: زهيرة سيد

الوطنُ هو حيثُ تَدفنُ

حَبلكَ السُريَّ،

ملفوفا بشاشٍ مرشوشٍ

بعطرِ وردة.

وحَبليَ السُريِّ مدفون

بُعدَ تسعةِ أقدام

من شجرةِ زيزفون عندَ الغسق.

ولدتُ بدايةَ واسمي نجمة.

ولدتُ زرقاءَ لاهثةَ الأنفاسِ

باسمِ الشفَق. أوّلُ ما سمعتُ

اسمُ الله.

نوّرت مشاعلُ روحي الأرضَ

باسم "ومضةِ سكّين" و"لصّ طائشٍ"،

عمّتي الشهيدةُ دفنَت حَبلي السُريَ.

هل تعرفها؟

ابنة مجهولة بعد أخواتٍ خمس

اسمُها قمر.

ولدتُ بدايةَ واسمي نجمة.

قدّم لي الرمّان ياقوتاً من الشجر،

أوشحةَ حريرٍ مُعلّقةً بأغصانٍ

تحتَ نورِ الشمسِ برائحة أمّي.

أقشّر الجنَ فألتهمهُ في وضحِ النهارِ

وهي تصيدُ المواليد

كقطافِ فاكهةٍ بيضاء وردية.

ولدتُ زرقاءَ لاهثةَ الأنفاسِ

باسم الشفَق. سُرتي

عطرُ وردة. أوّلُ ما سمعتُ

في أذنيّ، اسمُ الله.

غرفة حياكة

شعر: زهيرة سيد

يجلسن وراء ماكينة "سنجر"
بطرازٍ قديم، ولفافاتُ النسيجِ
على الجدار.
تُطلقُ الصغرى
سياطها، وهي تطلب
لباساً مثل كعكة.
يقصصنه فيحِكنَهُ لينتهي
بمشدٍّ وصدريةٍ وشرائط
من مُخمَلٍ أزرق لامع.

بغرفةِ الحياكةِ، يهمهمن
كمن لا يزالُ في رَحمٍ،
ووالدهنّ يغنّي وراءَ الجدار.

امرأة

شعر: زاهدة غاني

شَعري في رياحٍ غير مرئية،

يهبّ أمامَكَ،

هامساً إليكَ بأسرارهِ المجهولة،

يتلمّسُ وجهكَ

بقُبلةٍ رطبةٍ في نهارٍ قائظ.

ظهري منحنٍ كقوسٍ هائل،

كجذعِ شجرةٍ مجيدة،

يداي منه فرعان إلى السماءِ،

تُنزلها إليكَ.

صدري تلاّن أخضران

عُشبُهما مُورقٌ بندَى الصبحِ،

واديان منحدران نحو

مصبّ أنهارٍ من حليب الجنّة.

بعينيَ ومضُ النجوم،
وفراشُنا الليلةَ قمرٌ بدر.
سوادُ الليلِ حجابٌ غامض
أمامَ روحك.

يدقُّ بداخلي إيقاعُ خليقةٍ،
بحياةٍ. تَهَبُ لؤلؤاً
يكوّنُ فيكَ.

صندوقٌ أسود صغير

شعر: زاهدة غاني

كان بالركنِ، بينما
أرقبُ الثلجَ يهطل،
كلَ جسرٍ عبرتُهُ
خلّف ذكرى، فلا أرى،
عيناي مغمضتان.

شهدتُ أسراركَ طائرةً
بالرياح، وهفهفَ سجّادُ
غرفتي البيضاء
كأجنحة ملائكة، أو نباتِ
خيالٍ اقتُلعَ البارحة،
كذبتُ عليكَ، لا أنسى
إيقاعَ ليلةِ الشطّ،

حين اغتسل عقلي

بماء الملح، أهي دموعكَ

التي شربتُها أم لمسةُ

البحر؟ لا أدري.

أردتُ هناكَ الموتَ، وأذكرُ

أنتَ أردتَ الحياةَ.

أقمارٌ ضائعة

شعر: زاهدة غاني

تقفُ قربي، لكن
لا تلمس أوتارَ قلبي،
فقد تُحطَمُه.

أرى الزمانَ يجرفُني،
كنهرٍ ينسابُ وحدَه.
لديكَ مفتاحٌ سحريٌّ،
لكن تقولُ: مجرّدَ حلمٍ.

لا يهمّ أنني أتوقُ للبقاءِ،
كرملٍ يتخلّل أصابعي.
أراك تختفي،
وذلك ما تريدُ.

فدعِ الساعةَ تطولُ
بدقِّها المتواصل.
وأبطئ سحابَ الشكِّ
الذي يصعد فيأكلُني.

خلّ ذلكَ يوماً آخر،
فقد نُعيدُ القمرَ
الذي خسرناهُ ذاتَ ليلة.
يبدو كلّ شيءٍ تأخّر.

وردة ضائعة

شعر: زاهدة غاني

جلسنا بين وردٍ سرقناهُ،

وردٍ بتويجاتٍ حمراء مخملية

يستثيركَ بي جِلداً فعَظماً

إلى روحي. فينكمش

ظلّي من سوءِ التفاهم.

لا حقيقةَ في جسدي،

لكن رأيتُ قوسَ قُزَحٍ

حوله سورٌ

بعينَي نظارتكَ.

حريـة

شعر: ماكيز سلطان

جرّبتُ "حرّيةَ" أن أنتحر

بالسابعةِ عشرة.

تسوءُ الأشياءُ قبلَ أن تتحسّن.

اقترنتُ بالخوفِ، عشر سنينٍ.

ويوماً همتُ جائعةً

نصفَ معتوهة وسطَ الجبال،

تضربُني نشوةٌ. بكتِ النشوةُ

لكن علّمتني "الحريّةُ" صلاتَها البسيطة.

تحرّرَت "الحريّةُ"، فانطلق الخوفُ.

ذكريات مُخملية

شعر: ماري ناصر

نعيشُ ذكرياتنا، بأحلامنا كالتالي:

محاطةً بالضحكِ والحزن،

بالحبّ والصمت،

فنبقى في مكانٍ ساكن، قربَ القمر،

فوقَ النجومِ، بعيداً عن أيّ شيء

نستمتع بعِزّتنا. وحُلمي دائماً

أن نظلّ معاً لنهايةِ الزمان

يربطنا مصيرٌ، لتحقيقِ حلمنا

عندي أمل. آه، لو تعرف،

فالحياةُ فراغٌ وأنا وحدي

عصيةٌ لو نتباعد،

فتعجز قلوبُنا عن اللمس.

بوحدتي، ذكرياتُكَ المُخملية،

هادئةٌ على الطوارِ، بينما
حُلمي أفكارٌ سعيدة.
بقلبي أنتَ، لكن قلبكَ بعيد،
وهذا إلى الأبد؟ أذكُر دموعي
بحزنٍ ناعمٍ تدنو، فيستحيلُ
الماءُ لؤلؤاً. تودّعني من جديد.
فيكبُر حبّي بينما الأيام
تمضي، أأنتَ شغوفٌ مثلي؟

الضائعة

شعر: فرحناز نوري

ضيّعتُ شيئاً من زمان،

أهو حبّي؟ روحي؟

عواطفي؟ أم بناتِ أفكاري؟

وحدي، أحسّ بالعزلة

كطيرٍ وقعَ من عُشّه بجناحيهِ مكسورين،

فابتعدَ عن حِضن والديه الحنون...

لحظاتُ حبيبة، طيراني بكلّ مكان...

حبٌّ ضائع، كوردةٍ بديعة

فوقَ بحيرةٍ زرقاءَ مستوحشة...

أحسّ أنّي أحبك

دونَ البشر أجمعين...

سرّ الكينونة فينا معاً...

وأنا معك، ضِعتُ من زمان...

وحدهُ الحبّ حسٌّ بقلبٍ عطشان للحبّ...

روحي ذائبةٌ في يديكَ...

أشعار من جنوب إفريقيا

نواقيسُ تذكر الزمن

وزن اللغة الإنجليزية على الشعر الإفريقي ليس ثقيلاً، لكنه خلّف جيلاً أعاد اكتشافَ نفسه، بالتزامن مع التقاليد الشعرية الغربية، والتوافق مع شتاتهم داخل وطنهم. وقد أصبحت القومية الثقافية في جنوب إفريقيا من التفاعلات الضرورية، لذلك نرى في هذه القصائد القليلة بدايات مفاهيم "الأدب الإفريقيّ" في جنوب إفريقيا، المعاناة والقسوة وتسارع الأحداث وعدوانيتها، السرد والجغرافيا، المنطق الذي لا ينطق به أحد، واللغة التي لا يُجاريها أحد مثلهم.

كاب العواصف

شعر: توماس برنجل (1789 ـ 1843)

يا كابَ العواصفِ! مقدمكَ مُعتم،

كاشفٌ منحدراته العارية ووديانه الحزينة،

عصفُكَ محفوفٌ بمخاطرَ، ملتهبٌ خائنٌ

أشدّ عواءً مع أقوى البحّارة؛

وأميّزُ بساحلكَ الأسيانِ

الرقيقَ والعبيد، في قَدَرِ المنفى.

أستحي من سماعِ حكاياتك

عن الخطيئة والأسى وقسوة القهرِ.

مع ذلك، رغم عللِ الأخلاقِ والأجسام،

ما رأيتُ وعانيتُ،

فهناك رابطةٌ لَحَمَتني بثباتك،

سيَلت حتى حجارتكَ وأعزّ أمانيك؛

هنا قلوبٌ طيّبة لا يهزّها زمانٌ أو مكان.

مُحبّون بأصلٍ واحدٍ مخلصون،

نقوش على خنجر ماسيّ

شعر: ألبرت برودريك (1830 - 1908)

هنا يكذبُ الخنجر، انتثرَت شظاياهُ.

شريحةٌ من الطبيعةِ لامعةٌ، جهمٌ أبداً:

يعملُ بدعاوى كثيرةٍ، لكنه الآن (رغم حدّه المجدوع)

يدّعي، لاَ شيءَ يقفز عليه.

بريءٌ شجاعٌ طاهرٌ،

لكن حكمَه الأعلى يمحّص الصوابَ من الخطأ،

ربما انطلقَت روحُه من بابلَ الخفيضة،

أو وَجَدهُ الربّ جوهرةً فوق مائدته العظيمة.

صرخة جنوب إفريقيا

شعر: اوليف شرينر (1855-1920)

أعدُّ موتاي!

أولَ مَن رأى النورَ،

مع التلِّ المكعّب والنافورة،

على صدري الصخريّ!

أعدُّ موتاي،

الأبناءَ مَن لعبوا عليّ

وأنداءُ الطفولةِ في رؤوسهم.

أعدُّ موتاي،

مَن انشَقّوا عني

بأذرعِ الرجالِ نادوا من أقاصي الأرض

ليُبلّل زهرَتي دمُ أطفالهم!

أعدُّ موتاي،

الموتى الذين كبروا داخلي!

شارع الطواويس

شعر: أليس ميبل ألدر (ولدت 1889)

على هوّة زرقاءَ بالشارع،
تقفُ منازلُ طويلةٌ غير مرئية
بجدرانٍ ثلجيّة، مستوحشة.
ظلالُها زرقاءُ مُخضَرَة، باردةٌ أثيرة.
يتقاطرُ مشهدٌ من طواويس،
نهرٌ يُقرقرُ: باسمِ الله
بضعةُ نواقيسَ ضائعةٍ قديمةٍ تذكُر الزمن،
والى الحلمِ بإيقاعِ النواقيس
تتهادى صرخةُ الطواويس،
يظلّلها أزرقُ مُخضَرٌ لامع،
تقوقئُ وتُحفحفُ مثل نهرٍ،
متوّجةً كملكاتٍ غابرة،

تنجرفُ على الشارعِ نحو الأبد.

بعيداً عن ظلالِ الشارع،
بين شقّ جدرانٍ مُشجَرَة،
نورٌ يهيمُ لشمسٍ مُمكنة
وهبَت وَمضَ شُعاعِها الذهبيَ،
وطيورٌ من جليدٍ، بصيحاتٍ مكتومة،
تمضي على الشعاعِ، واحداً بعد آخر،
بعيداً عن شارع الأحلام.

وفي ظلالِ الشارع
طيفُ وردةٍ يتكلّم معي.
راحتان في راحتيّ، دون كلامٍ،
بين منازل الموتى،
تقوقئُ وتُحفحفُ مثل نهرٍ،
طواويسُ زرقاءُ مخضَرّةٌ تمضي إلى الأبد.

أشعار من الهند

حدقة المستقبل

قصائد هندية قبل القرن العشرين، مكتوبة باللغة الإنجليزية أصلاً، ويمكن أن نعتبرهم رواداً للشعراء الهنود الذين يكتبون حالياً بالإنجليزية. وهم مجهولون نسبياً لتاريخ الشعر الهندي المعاصر، حيث أنهم بنغاليون. وهذه قصة أخرى في تاريخ الهند. كانوا هامشيين بعصرهم، إلا أنهم يركزون على مواضيع هندية تعبّر بحق عن الصدق والضعة التي كانوا يحسون بها وقت الاستعمار البريطاني. قصائد تغلب عليها الرومانتيكية التي كانت تشيعُ بعصرهم.

إلى أرملة هندية شابة

شعر: كسبرساد غوش (1809-1873)

آه، الجميلةُ، وحدَها كزُهيرَةِ الصحراءَ،

جمالُها دونَ جدوى؛

مُظلمةٌ ساعتك المقيتةُ

حين جلبت عليكِ الأسى المقيمَ بآلامه!

ماذا يعني العالم لهذه المحرومة!

كلّ دربٍ أمامكِ مستوحشٌ؛

من المُتَعِ الممزّقةِ بوَحشية،

كئيبٌ ومُنهَكٌ مصيرُكِ!

يا للأسى، الوحشةِ؛ عجزٌ وبؤس!

قَدَرُكِ المبكّرُ. حكم عليك هكذا

كأن العالمَ ليس لك.

ولم يكن موجوداً. آه! كان موجوداً؟

لهذا لم يكن دافئاً أو ودوداً؟

نسيت إنسانيتَه المؤاسية

روابطَه وقوانينَه المرعبةَ؟

صرامةُ حياة كالحة،

متبوعةً بالخوفِ والعارِ

تنتظرك كإرثٍ تسلَمته هنا:

أسيكونُ غيرِ اسمٍ؟

لم يكن، لم يجرؤ، لم يأمل

في سعادةٍ بعالمٍ شبيه؛

هكذا ستعيشين للأبد بقبضةِ الأسى،

أسىً يُفضي إلى الموت.

ومُقدَرٌ على فنونك أن تُقاومَ للأبد

مع نفسك، لتقمع عنصرَ الحياةِ

وتمرّدَ الفكرة المستنيرة.

أهذا كلَ شيء، أم هو ما تبقّى؟

وهل يظلّ العالم

مشهداً بسحرهِ المحروم؟

أبياتُ استهلال

شعر: جورو شيرن دوت

بين أبنائكِ سباقٌ هابط،

حسرتاهُ! مُنخفضٌ منحطّ، أيامٌ تعيسة!

نحن مدرسَةٌ فقيرة! ولدنا بذاكرةٍ هزيلة،

ولم ندرك معارفكِ المبهمة،

على جناحين مطليين من جوعٍ خياليّ،

يناديك، يا "هندُ"، من أيامِ ماضيك،

في صدورنا إلى الأبدِ، يا عزيزةً علينا،

على بقاياكِ الحزينة تهمي دموعنا.

وهكذا ولدنا بعمرٍ منحوس،

دون نيران ملاحمَ قديمة،

فاقبلي ثناءَ قلوبنا المُعذَّبَة.

الهند

شعر: شوشي دوت (1825-1886)

هل أديرُ حدقتي للمستقبل؟
المستقبلُ كتابٌ مختومٌ على المرء،
ولا شيء يعهَد لنظرتي أن تعلو؛
فتجرؤ على خدشِ أسرارِ الله القدسيَّة؟
كما أن الخطيئة لا تستطيعُ الحلم؛
حلمتُ بحلمٍ في بهجةٍ وحشيَّةٍ وغريبة،
مقامُ حريَّةٍ صافٍ وضيء على ما يبدو،
ومرَّ غمامٌ تحت نورِ الصُبح؛
فميَّزتُ نقطةَ دمعٍ على وجنةِ الجمالِ تجفّ،
على الأرضِ فرّت تنهداتٌ وآهاتٌ أبديَّةٌ؛
وحلّقَ العَلَمُ ثانيةً نحو السماء،
راقبت بسالةَ الوطنيِّ الابتسامةَ وهي تجنح:
حلمٌ! حلُمٌ! لماذا الحلم هكذا؟
يا أرضَ آبائي! ألن تتحرّري أبداً؟

شجرتُنا الكزورينا

شعر: ترو دوت (1856-1877)

كحيّةِ الأَصَلَةِ الضخمة، يميلُ مستديراً
جذعك المُخدّد، مُنبعجاً عميقاً بالندوبِ
شامخاً برأسهِ قربَ النجوم،
يصعدُ الصاعد، فتميلُ أغصانهُ،
ليس لشجرةٍ أخرى أن تعيشَ مثلها. العملاقُ
يرتدي الوشاحَ بشهامةٍ، فيعلّقُ الأزهارَ
بعناقيدَ قرمزيةٍ على الأغصانِ وفيما بينها،
طيلةَ اليومِ يجتمعُ الطيرُ والنحل؛
وتنسابُ في ليلِ الحديقةِ غالباً
أغانٍ لذيذة لا خاتمةَ لها،
من شجرتنا، بينما نرقُدُ في هجعةِ الليلِ.
حين انفتحت نافذتي فجراً

ارتاحت عيناي من رؤيتها؛ أحياناً

أو غالباً بالشتاء. يجلسُ قردٌ على الجذعِ

قردٌ رماديّ بهيئةِ مستوحدٍ

يرقُب شروقَ الشمسِ؛ وتحتهُ على الأغصانِ

نسلُه الضعيفُ يطفرُ واثباً يلعب؛

يُحيّي البعيدَ والقريبَ عند النهارِ؛

وإلى العشبِ تتابعُ بقراتُنا الناعسات؛

وبالظلّ، على لحاءِ جذعه العريض

في جانبِ الشجرةِ الشيباء، البديعة الشاسعة،

ينبُتُ زنبقُ الماء، كثلجٍ مُجَمَّع.

الكزورينا، عزيزةٌ على روحي؛

لا لعظمتها، بل تحتها قد لعبنا؛

عبر السنين التي ركضَت،

مع الرفاقِ الأعزّاء، بتوتّر الحبّ

تعزّ علينا الكزورينا دائماً!

تنهضُ في تصوراتنا، بالذكرى

فتمتزج الدموعُ الحرّى بعينَيّ!

كدمدمة تشبهُ ما أسمعُ من ترانيمَ
كبحرٍ تحطّم على شاطئٍ محصبٍ،
عويلُ الشجرةِ، نطقُها المخيفُ،
يصلُ مصادفةً لأرضٍ مجهولة.

مجهولة، لا تزال في عينِ الحقيقة!
آه، قد نعيبها من بعيدٍ،
بأرضٍ نائية، جنب خليجٍ مُظلّلٍ،
حين يهجعُ في كهفه طيفُ ماءٍ
ويُقبّلُ الموجُ ناعماً الشطوطَ
المثاليةَ في فرنسا أو إيطاليا، تحت القمر
ترقدُ الأرض مغشياً عليها دون أحلام،
وتنهضُ موسيقى كلّ مرة. قبلَ
أن أراكِ داخلي بشكلٍ مهذّبٍ،
شكلكِ يا شجرة، كما رأيتكِ في طفولتي
السعيدة، مناخ أصلي المحبوب.

أقدّسُ رقدتي هناك مسروراً

بتكريمك، يا شجرة، عشقتك بين مَن ينعسُ

الآنَ هنيئاً في ضجعةٍ أبدية،

أعزّ من حياتي، حسرتاهُ!

أظلّ أراكِ إلى أن تنتهي أيامي

مع أشجار خالدة. كتلك التي في بروديل،

تحت أغصانٍ مريعة تتلبّثُ شاحبةً

بخوفٍ، برجاءٍ مرتجف، بموتِ عمودها الفقريّ،

في زمنِ الظلّ، يضعُفُ الشعرُ

من جمالكِ الشاحب، آه أردّدُ الشاحب

ليدفعَ عنكِ الحبُّ غائلةَ النسيان.

أشعار من الكاريبي

خبز المرارة

قصيدة "حنطة غينيا" من أعمال الحصاد الشعبية التي سجلت في 1790 في جامايكا. أما قصيدة "أهزوجة" فتعبر عن روح وأفكار امرأة عبدة. وهي قصائد قليلة من جزر شرقيّ الكاريبي التي ظلت متأثرة باللغة الفرنسية حتى مطلع القرن العشرين. بينما تعبّر قصيدة "أغنية شعبية" عن حسيّةٍ نسوية، ضمن السمات التي شاعت أول القرن التاسع عشر. وربما كانت الروح العاطفية الرومانتيكية سبيلهم الوحيد للمقاومة الزنجية بجزر الهند الغربية. لكن قصيدة "أمريكا" تعبر عن روح ساخرة تستهدف عمليات النفي والإجحاف العنصري.

حنطة غينيا

يا حنطةَ غينيا، لو أراكِ
يا حنطةَ غينيا، لو أبذركِ
يا حنطةَ غينيا، لو أُخمّركِ
يا حنطةَ غينيا، لو أُنظّفكِ من العشبِ
يا حنطةَ غينيا، لو أجرف لكِ الأرضَ
يا حنطةَ غينيا، لو أُشذّبكِ
يا حنطةَ غينيا، لو أحصدكِ
يا حنطةَ غينيا، لو أُجفّفكِ
يا حنطةَ غينيا، لو أدْرسكِ
يا حنطةَ غينيا، لو أرمي نفايتكِ
يا حنطةَ غينيا، لو أحمّصكِ
يا حنطةَ غينيا، لو أسحنكِ
يا حنطةَ غينيا، لو أُقلّبكِ
يا حنطةَ غينيا، لو آكلك.

أهزوجة قديمة

من ترينداد (القرن 19)

جميلةٌ بيضاءُ بعينينِ زرقاوين

جميلةٌ هنديّة كاريبيّة بضفيرَتَي شَعرٍ

جميلةٌ زنجيّةٌ بكَفلَينِ بارزين كثيراً

يجعلُ الكفلان البارزان دوندون يُنقّط.

جلو، جلو، جلوريا، جلو، جلو، جلوريا

جلو، جلو، جلوريا، جلوريا لكَ

جلوريا ليست لي.

أهزوجة قديمة

من جزر المارتينيك (القرن 19)

منذ عام كنتُ فتاةً

فتاةً شابةً صغيرةً في بيتِ أمّي

وهذا العام صرتُ امرأةً

أقاوم لكسبِ قوتي بنفسي

آي، آي

هُزّ جسمكَ فأمنحكَ

فتاةً بذيئة

هُزّ جسمكَ فأمنحكَ

سأمنحكَ، أمنحكَ

سيداً جباراً.

أغنية شعبية

شعر: ج. ب. موريتون

أنا ألتو، عبدَةٌ ولدَت فنَمَت،
جلدي أسودُ لا أصفرَ،
وأبيعُ عُذرتي غالباً
لأي تابعٍ وسيم.

سيّدي يحتفظ بي،
يهبني ملابسَ وقُبلاتٍ عريضة،
معاطفَ حريرٍ ناعمة، ضيقةً أو محبوكة،
ليكسب أحضاني اللذيذة.

عادَ الزنجيّ،
جاع لي فأثارني،
مزّق معطفي عن مِنكَبَيّ،

وعريُه جَرّدَني.

أخذني الزنجيّ للحقولِ،
عزقٌ كثير، ليمهّدَ الأرضَ،
ثم انتهى بي على ظهري،
ظلّ يعملُ حتى أنهكني.

جاء أوبيسي ذاتَ ليلة،
وهبني قميصَ نومٍ وقبلاتٍ،
أبيضُ نالَ زنجيّةً!
أبيضُ كالفتياتِ.

أثارني بسوطه الطويل،
لأنه سيّدي، سبّني:
"قحبة كاذبة!"
ثم قبّلَ رأسي!

أثارني ولم يتعطّف،

أثارني لأفعلَ هذا،

ما من صديقٍ عندي،

فأسعى لأفعلَ هذا.

لا أعرف قانوناً أو خطيئة،

أنا دهماءُ منحطّة،

وهكذا يدخلني الدهماءُ،

فجديرٌ بي الله لا الشيطان!

إلى جورج هالدين، حاكم جامايكا

شعر: فرانسيس ويليامز

تقبّل أغنيتي، ألفظها من فمي بسناج كثير،
لستُ مغصوباً، بل من القلبِ تصدُر.
بيدٍ قديرة، وهبَ الخالقُ الروحَ نفسها
لجميعِ مخلوقاته، دون أن يستثني، الفضيلةَ ذاتها
كحكمةٍ خلوٍ من اللون.
لا لونَ في عقلٍ مُكرَم، أو فنون.
لماذا إذن تخافُ وتتردّد،
عروسُ شِعري السوداءُ، حين تعتلي مقامَ
قيصرِ الشمسِ الغاربة؟ اذهبي ومجّديه،
لا تجعليه مصدرَ عارِك،
جلدك الأسود جسمٌ جميل!
معظمنا إفريقيٌّ تزيّنه فضائلُ مستقيمة،

كالحماسة بالمفكر، والفصاحة بفم عليم.

قلبُنا أيضاً حكيمٌ، يفعمهُ الحبّ للبلادِ والفضيلة

تميّزُ أحدنا عن الآخر، فيتقدّم.

وهبتني الجزيرةُ الميلادَ، وربّاني البريطانيون،

لا مبرّر للحزنِ في الجزيرة

بينما أنتَ والدها الكبيرُ!

هكذا أتوسّل إليكَ، من عمقِ هذه الأرضِ،

مكان الله الذي يراكَ حاكماً حتى النهاية

على شعبٍ مزدهر.

أمريكا

شعر: كلود ماكاي

تُطعمني خبزَ المرارةِ

وتُغيِّب في حلقي كالنمرِ أسنانَها،

تسلبُ أنفاسَ حياتي، فأعترف

أحبّ هذا الجحيمَ الذي يمتهنُ شبابي!

نشاطُها دافقٌ كالمدّ والجَزر في دمي

يُقوّيني لأنتصبَ أمامَ بُغضها،

ضخامتُها تمحو كياني كطوفانٍ.

مثلَ من يتمرّدُ على ملكٍ في دولةٍ،

بين جدرانها أهيبُ دون تمزّق

الرعبِ، ماكراً، دونَ كلمةٍ ساخرة،

أحدّقُ غامضاً فيما أمامي،

فأرى أعاجيبَها القادرةَ هناك

تحت لمسةٍ معصومةٍ من يد الزمن،

مثل كنزٍ أثيرٍ تطمرهُ الرمال.

صدر للمترجم

دواوين

1 ـ طور الوحشة، جماعة أصوات، القاهرة، 1980

2 ـ قبر لينقض، طبعة محدودة، القاهرة، 1991

3 ـ على تراب المحنة، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، 1995

4 ـ فحم التماثيل، دار شرقيات، القاهرة، 1997

5 ـ الملاك الأحمر، دار الانتشار العربي، بيروت، 2000

6 ـ مخلب في فراشة، دار الانتشار العربي، بيروت، 2000

7 ـ بكاء بكعب خشن، دار ميريت، القاهرة، 2003

8 ـ خضراء الله، دار الانتشار العربي، بيروت، 2004

9 ـ ملاّح، تحبسه الرماح (الأعمال الشعرية

1)، دار الانتشار العربي، بيروت، 2007

10 ـ عناق النيل والبحر (بالاشتراك)،وزارة الثقافة، أبو ظبي،2008

11 ـ السندباد الكافر، دار الغاوون، بيروت، 2009

ترجمات شعرية

1. أشعار سودرجران (بالاشتراك) ، دار شرقيات، القاهرة،1994

2 . قصائد حب، آن سكستون (ديوان) ، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1998

3. رباعيات مولانا جلال الدين الرومي، دار الأحمدي، القاهرة، 1998

4. الهايكو/رحلة حج بوذية (شعر ياباني) ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2000

5. رسائل عيد الميلاد، تيد هيوز (ديوان) ، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2002

6. نهايات، ديريك والكوت (مختارات) ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2003

7. رسائل عيد الميلاد، تيد هيوز (ديوان) ، إبداعات عالمية، الكويت، 2003

8. كاس الألم، إديث سودرجران (ديوانان) ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2004

9. أعشاش تحت القلب (ديوان الشعر السويدي) ، اتحاد كتاب

الإمارات، 2004

10 ـ جمهورية الوعي (أشعار من 5 قارات)، دار نينوى، دمشق،2008

11 ـ النمر الآخر، أشعار بورخس، اتحاد كتاب الإمارات، 2009

12 ـ زهرة أم حجر؟، 50 قصيدة حب، كتاب مجلة الرافد، الشارقة، 2012

ترجمات روائية

1 ـ جاز، توني موريسون، دار شرقيات، القاهرة، 1995

2 ـ فالس الوداع، ميلان كونديرا، روايات الهلال، دار الهلال، القاهرة، 1998

3 ـ فالس الوداع، ميلان كونديرا، دار علاء الدين، دمشق،2001

4 ـ جاز، توني موريسون، دار علاء الدين، دمشق، 2003

5 ـ الساعات، مايكل كننجهام، دار الحوار، سوريا، 2004

6 ـ الساعات، مايكل كننجهام، روايات الهلال، دار الهلال، القاهرة، 2004

7 ـ غرام، توني موريسون، دار الحوار، سوريا، 2004

8 ـ فالس الوداع، ميلان كونديرا، كتب القراءة للجميع، هيئة الكتاب،

القاهرة، 2005

9 ـ فتانة الجسد، دون ديليلو، دار أزمنة، عمّان، 2006

10 ـ حرير، اليساندرو باريكو، دار الأحمدي، القاهرة، 2006

11 ـ مذكّرات شخص، مايكل كننجهام، دار الانتشار العربي، بيروت، 2006

12 ـ جوستين، المركيز دو ساد، دار الانتشار العربي، بيروت،2006

13 ـ فتانة الجسد، دون ديليلو، دار الانتشار العربي، بيروت،2006

14 ـ في عشق جيفارا، آنا ميناندس، دار كنعان، دمشق، 2007

15 ـ حرير، اليساندرو باريكو، دار الانتشار العربي، بيروت،2007

16 ـ جنوب الحدود غرب الشمس، هاروكي موراكامي، دار نينوى، دمشق، 2007

17 ـ بنت مولانا، مورل مفروي، دار نينوى، دمشق، 2007

18 ـ جلد على عظم، آمريتا بريتام، كلمة، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2010

19 ـ مثل ترنيمة، برومبادرام شري دهاران، كلمة، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2010

20مذكّرات شخص، مايكل كننجهام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة2013

ترجمات مسرحية

1 ـ رماد من رماد، هارولد بنتر (5 مسرحيات)، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، 2006

ترجمات قصصية

1 ـ مرآة الحبر، بورخيس، آفاق الترجمة، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، 1996

2 ـ كتاب الحواس، ايتالو كالفينو، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 1999

3 ـ شجرة مطر (قصص معاصرة)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001

4 ـ مرآة الحبر، بورخيس، دار علاء الدين، دمشق، 2003

5 ـ أصل الطيور (قصص إيطالية)، (بالاشتراك)، دار كنعان، دمشق، 2007

6 ـ العين الثالثة (قصص كندية)، مرجريت آتوود، اتحاد كتّاب الإمارات، 2007

7 ـ غراميات بائسة، ايتالو كالفينو، دار نينوى، دمشق، 2007

ترجمات نقدية

1 ـ الخلاص بالحرية (مقالات عن الأدب العربي)، مركز الحضارة العربية، 2003

2 ـ الضوء المشرقيّ، أدونيس، (بالاشتراك)، دار بدايات، سوريا، 2005.

3 ـ تخمينات عن الأدب العالمي، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2005

4 ـ نبوءات، مذكرات ليوناردو دافنشي، هيئة الكتاب، القاهرة،2013

ترجمات للصغار

1 ـ حكايات (قصص أطفال مترجمة)، (بالاشتراك)، جريدة الاتحاد، ط1، 2006

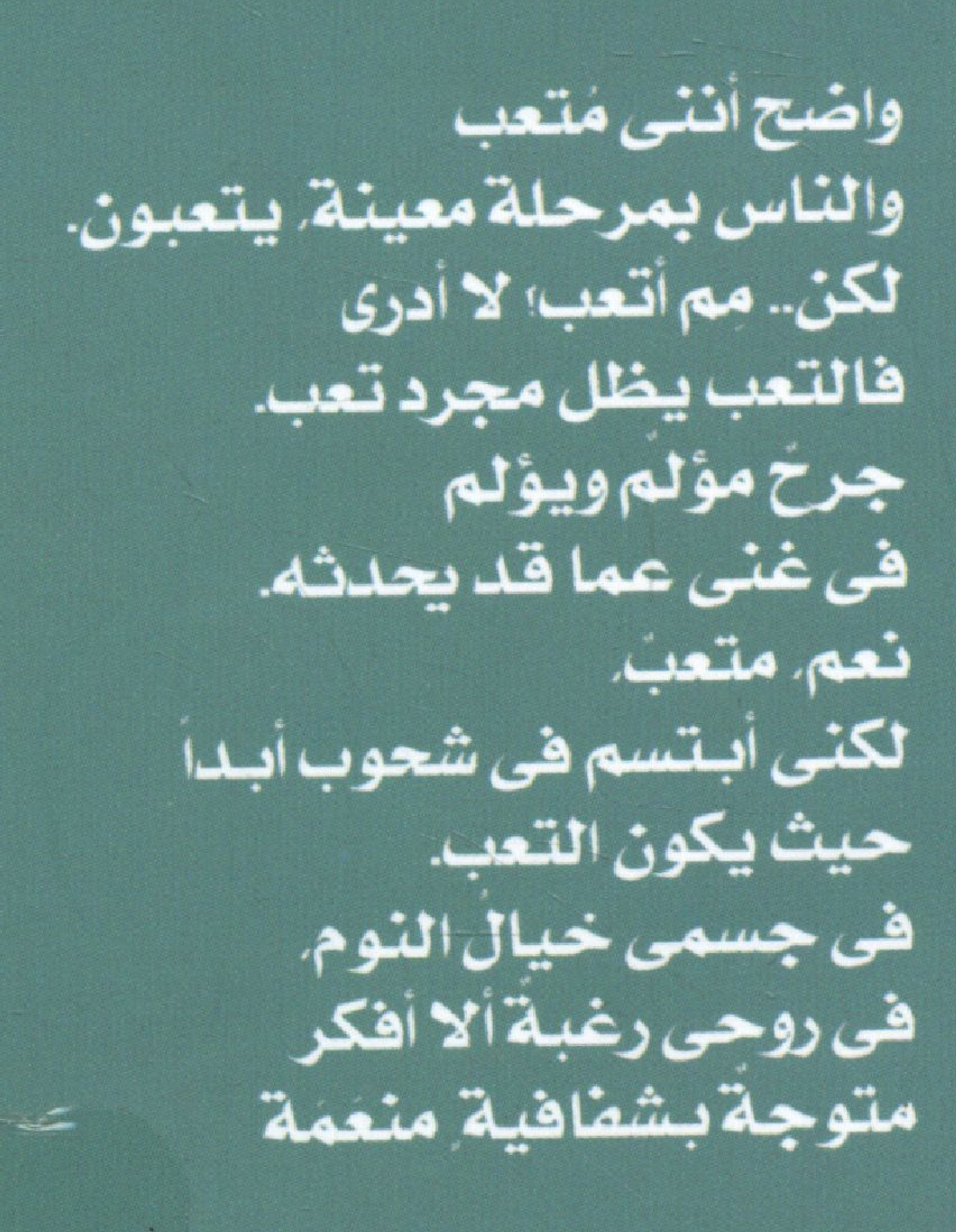
2 ـ حكايات (قصص أطفال مترجمة)، (بالاشتراك)، جريدة الاتحاد، ط2، 2007

3 ـ الكوكب الأخضر (قصة كورية)، مي ـ يونج بارك، البرج/ كلمة،2011

4. مراحل نمو الحيوانات منذ ولادتها (قصة كورية)، آن مي يون، البرج/ كلمة، 2011

5. الطقس المتقلّب (قصة كورية)، جين جيو بارك، البرج/ كلمة، 2011

المحتوى



واضح أننى مُتعب
والناس بمرحلة معينة، يتعبون.
لكن.. مِم أتعب؟ لا أدرى
فالتعب يظل مجرد تعب.
جرحٌ مؤلم ويؤلم
فى غنى عما قد يحدثه.
نعم، متعبٌ،
لكنى أبتسم فى شحوب أبداً
حيث يكون التعب.
فى جسمى خيالُ النوم،
فى روحى رغبةُ ألا أفكر
متوجةٌ بشفافيةٍ منعمة

الغلاف... د. خالد سرور



www.gocp.gov.eg